حلاج السودان

أطروحات محمود محمد طه والحزب الجمهوري بعين النقد

يوسف سمرين

(١٢٧)
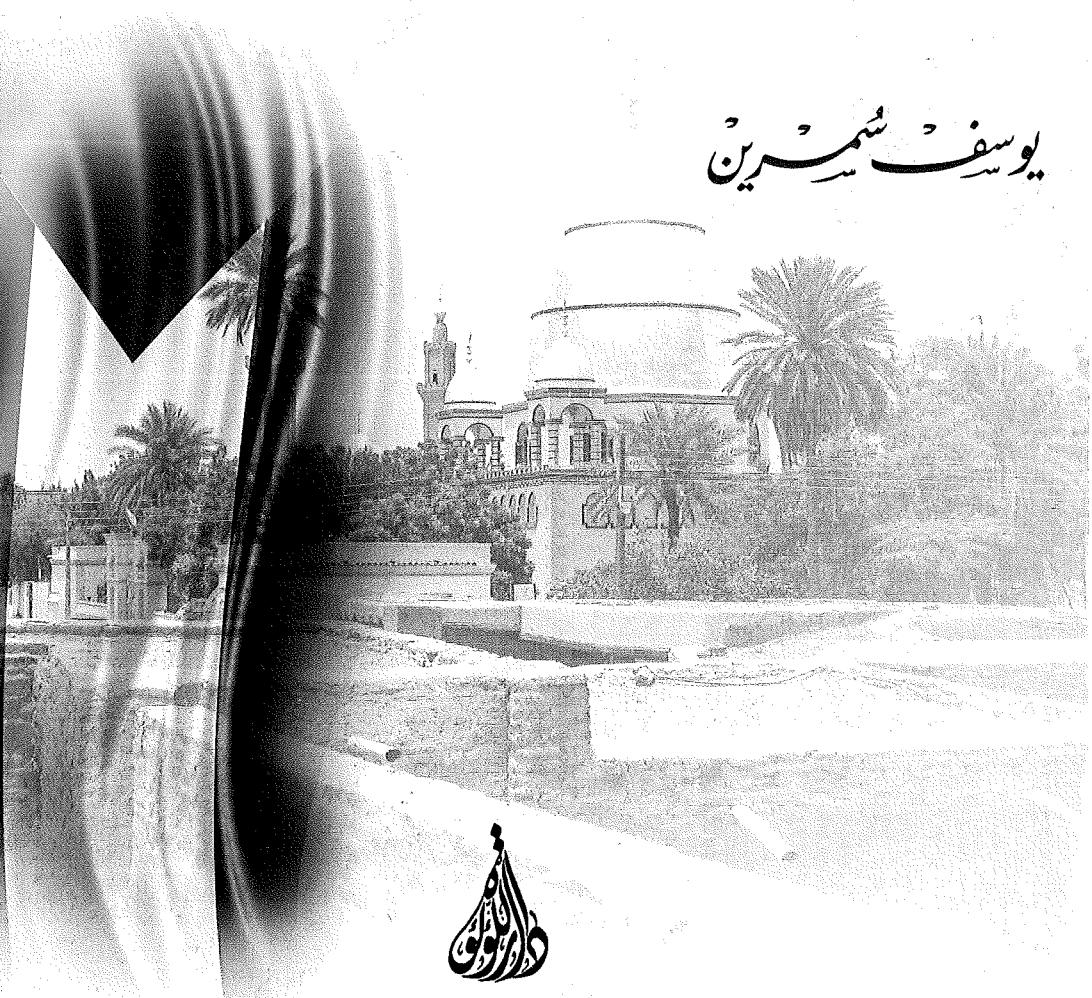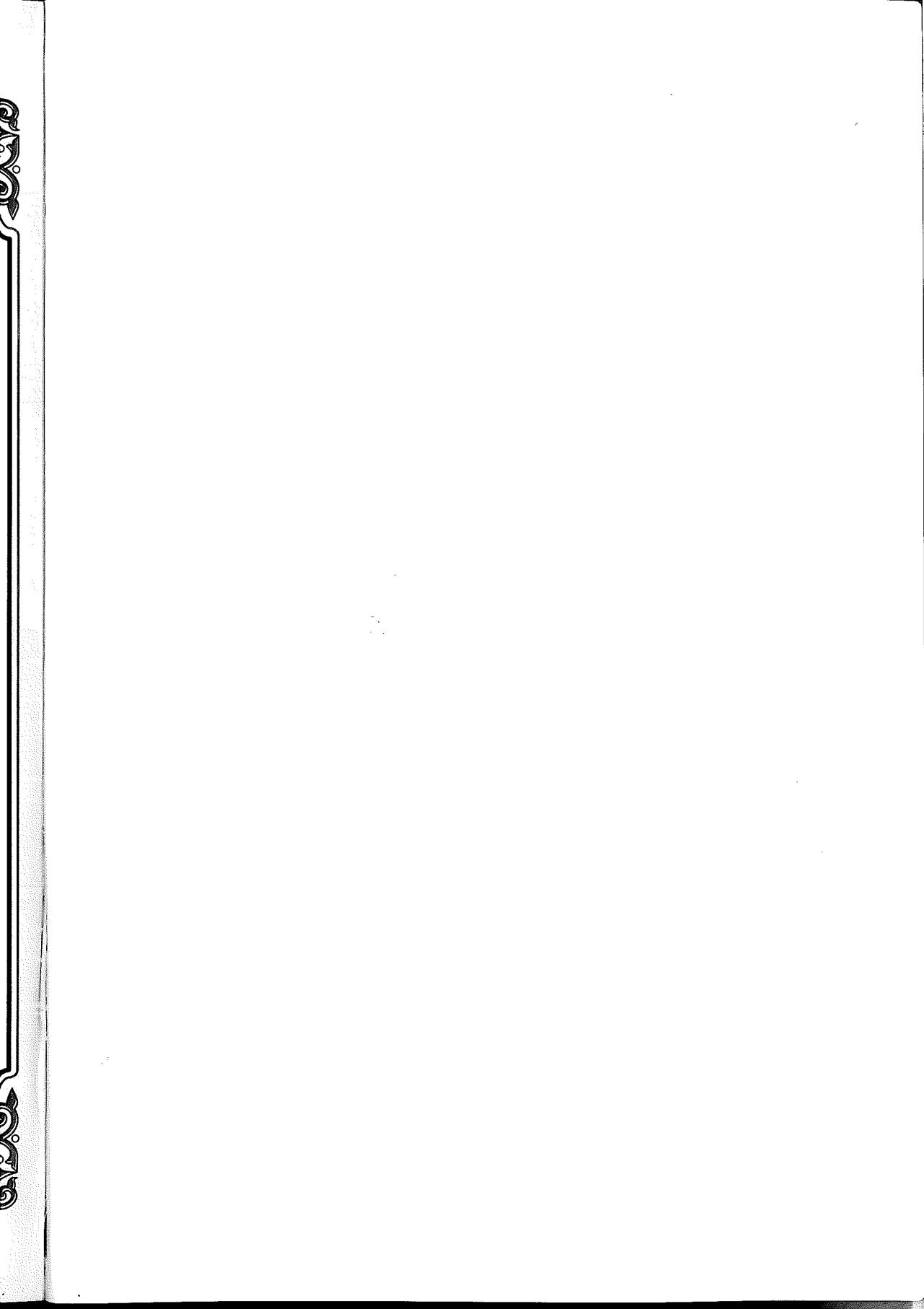
حقوق الطبع محفوظة
الطبعة الأولى
١٤٤٢هـ - ٢٠٢٠م

شركة دار اللؤلؤة
للطباعة والنشر
لبنان - بيروت
@daralloloaa
Daralloloaa@hotmail.com
٠٠٩٦١٧٠٦٥٤٤٦٠

أطروحات محمود محمد طه والحزب الجمهوري

بعين النقد

يوسف سمرين

المقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد:

قيل في إحدى الروايات بأنه أوصى أحدَ أنصاره قبل أن يتقدم إلى الإعدام بقوله: عليك بنفسك، إن لم تشغلها شغلتك، ومضى وهو يتبختر في القيد، حتى نزل به ما نزل[١]، كانت روايةً تهز المشاعر، راقتْ من أنصاره لها الضمائر، إذ جرى تصويره كما تخيلوه، وكما أرادوه ثابت الجَنان، وهو يتقدم إلى مصيره بلا تذمر، هذا ما قيل في المتصوف الحسين بن منصور الحلاج، وهو مما قد لا يمكن التحقق من صحته تاريخيًا، وهو مما قد لا يعنينا التحقق منه، فحتى على فرض أن هذا ما حصل، فلا يعني هذا بالضرورة صحة أطروحات الحلاج، تلك الأطروحات الذي يهمنا بحثها في المحاكمات الفكرية.

وقصة الحلاج الذي ذهب ثابتًا إلى مصيره، كان هناك ما يماثلها في أذهان أعضاء محكَمَة جوّالة، حيث كانوا قد سمعوا وفق الرواية الكنسية الرسمية، بأن المسيح ذهب إلى الصليب ثابتًا، ليعذَّب فوقَه تكفيرًا عن ذنوبِ البشرية، تلك القصة الكئيبة التي تتحدث عن وقائع الألم، ورحلة العذاب، كانت تبعث في نفوسِ أفراد محاكم التفتيش الطمأنينة الممتزجة بالأحقاد، وهي تشرّع لهم تعذيبهم للضحايا حين رأوهم يخالفون النهج الذي رسمه لهم المسيح بنظرهم وفق الرؤية النصرانية.

على الدوام كانت قصص الصمود، والموتِ وقوفًا مادةً دسمةً تتغذى عليها

---

(١) انظر: آلام الحلاّج، لويس ماسنيون، ترجمة: الحسين حلاج، شركة قدمس للنشر، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى: ٢٠٠٤م، ص٤٨٧.

دعايات المظلومية تاريخيًا، بقطع النظر عن ثبوتها التاريخي، وهي تشحن المقاتلين العقائديين اتجاه خصومهم، لتقلل من نزاهة محاكماتهم الفكرية للأطروحات التي يعتنقونها، وللانتقادات الموجهة لها، لصالح الانفعالات الوجدانية، والمنغصّات التي سرعان ما تتحول إلى أحقاد تفرغ حمولتها ضد كل مخالف معارض، وتصبح الفكرة المخالفة حتى ولو كانت صحيحة، استهزاءً بالدماء التي سالت، وتتحول لغة العقل إلى مستهترٍ بمشاعر الثكلى والمصابين، حيث تُحاكم العقلَ مشاعرُهم، تلك التي يرونها أصدقَ من أي برهان.

لكن لا يمكن المساواة بين الخرافة والحقيقة مراعاةً لمشاعر إنسان، إلا إن فقدَ الإنسانُ أخصَّ ما يميّزه وهو العقل، فما معنى أن ترفض العلوم الحديثة على سبيل المثال في مجال الطب بحجة أنك تقززت من تصوّر أنهم شرّحوا جثث العديد من الأموات، ودون هذا لم يكن للعلم أن يتقدم؟ وما معنى رفض الإنجازات العلمية لأن مكتشفها يخالف بعض أحكامك الأخلاقية؟ أو ترفض النقد على أطروحات بائسة بحجة تعاطفك الكبير مع أصحابها؟

ثم إن أي فكرة صحيحة لهي مستغنية بأدلتها عن استجداء النفاذ إلى قلوب المستمعين لتدفعهم حتى يقولوا: بَكيتُ فاعتقدت، دون براهين على صحتها، كما هي ميزة الأطروحات الرومنتيكية، بجعل صحة المعتقد مرتبطة بتلك الدرجة التي تدفع السامع إلى التأثر والبكاء، إن بيّنات الحق هي الأدلة لا الدموع، فكم من باكٍ وهو مبطل، روى أبو نعيم بإسناده عن الشعبي أنه قال: «شهدتُ شريحًا وجاءته امرأة تخاصم رجلًا، فأرسلت عينها فبكت، فقلت: يا أبا أمية ما أظنها إلا مظلومة! فقال: يا شعبي، إن إخوة يوسف جاءوا أباهم عشاءً يبكون»[1].

فبعيدًا عن الاحتجاج ببحر الدموع، جاء هذا الكتاب ليبحث في مفاصل

---

(١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم الأصفهاني، دار الفكر، بيروت ـ لبنان، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م، ج٤، ص٣١٣.

أطروحات محمود محمد طه رئيس الحزب الجمهوري في السّودان كما هو تعريفه على المطبوعات التي أصدرها، ومن ورائه أنصاره الذين لم يتوقفوا عن الثناء عليه وأفكاره، وترديدها، والدفاع عنه إلى حد حصر الحق في مقالاته كما سيأتي، جاء لينظر في هذا بعين النقد.

لقد كان التعريف بدعوة من اصطلحوا على أنفسهم بالجمهوريين الذين ترأسهم محمود طه في (السفر الأول) لهم الذي قالوا بأنهم أصدروه لأول مرة عام ١٩٤٥م بأنهم «**دعوة دينية تقوم على أن الإسلام هو طريق النجاة**»[1]، وهذا يدفع إلى دراسة مواقفهم الدينية، وبيان أهلية كاتبهم محمود في تلك المسائل، كما أن محمود لم يكف عن مدح «الفكر؛ **الفكر الحر**، الفكر القوي، الدقيق»[2]، وهذا يدفع إلى دراسة أهم أطروحاته الفكرية، ومقدار أصالتها ومدى اتساقها، حتى يظهر للقارئ: هل يجري حديثهم عن فكر حر، أم هو في الواقع سقوط حر؟ وغني عن البيان أنه في مجال الفكر لا مجال لمداهنة فكرة متهافتة، بل إنَّ أفضل خدمة يمكن تقديمها لصرح فكري متهافت، هي أن تعجّل بسقوطه، كما هي عبارة نيتشه.

يوسف سمرين

(١) السفر الأول، محمود محمد طه، الطبعة الثالثة: يونيو ١٩٧٦م، ص٣.
(٢) أسئلة وأجوبة، محمود محمد طه، أم درمان، السودان، ١٩٧٠م، ص٤.
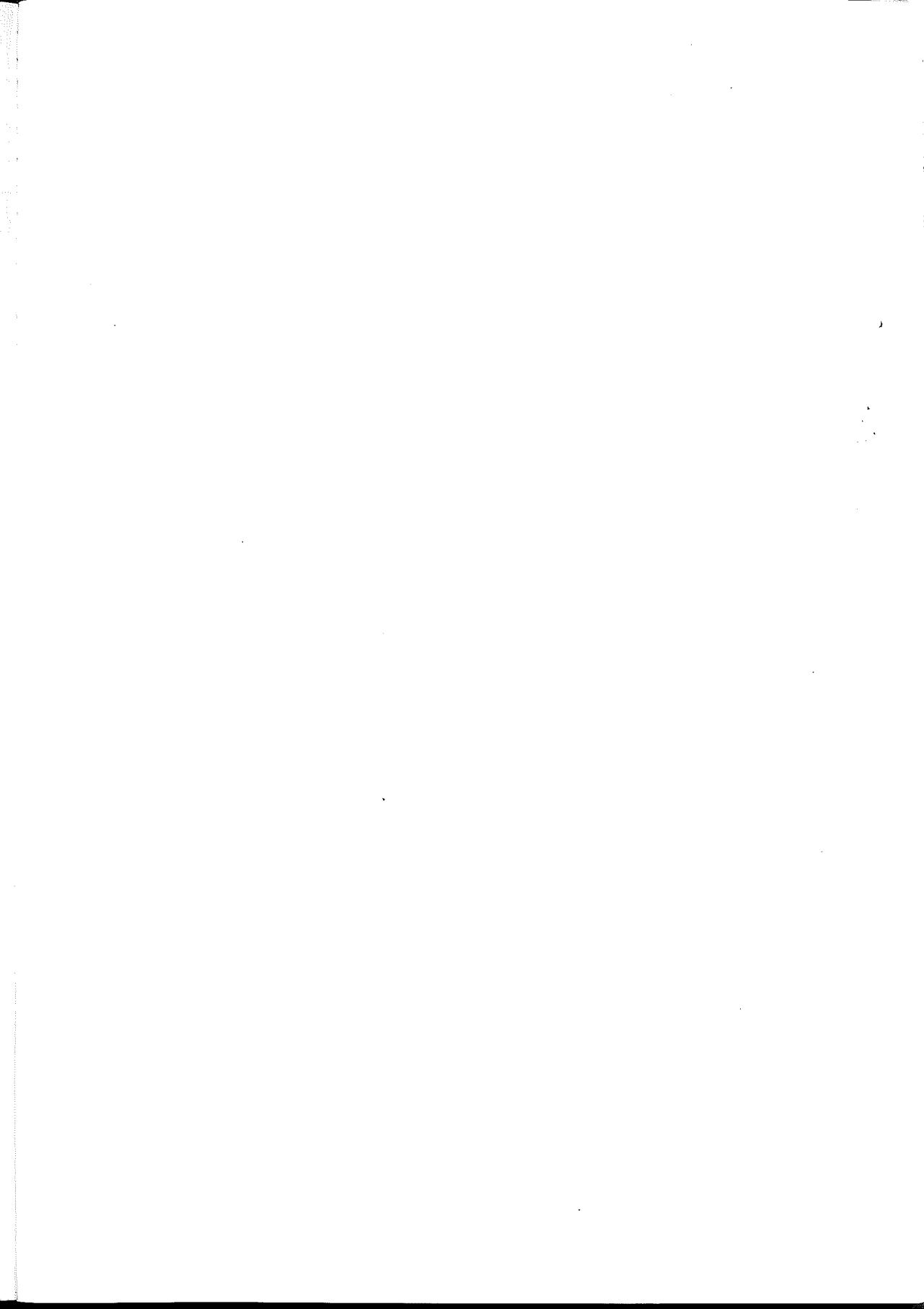
تشويهٌ
أم ضيقُ عطَنٍ بالخلاف؟

تذمر محمود محمد طه من سلوك المخالفين له مرارًا، فزعم أن أفكاره عانتْ بفعلهم من تشويه شديد[١]، وكان يصدُر باسم أنصاره ما يماثل موقفه بتوقيع (الإخوان الجمهوريون)، ليقولوا بأن الخصوم تعمدوا «**تشويه أفكارنا، وإثارة الفتن حول دعوتنا، على نحو لا يليق إلا بتلك الجهات المشبوهة التي تحكي، وتدّعي الدين بلا دين**»[٢]، على أن الاتهام بتشويه الأطروحات يدفع إلى وقفة مع طريقة تعامل محمود طه مع الكتابات المخالفة له، وعلى سبيل المثال كتب في (الرسالة الثانية من الإسلام):

«تعرض لهذا الكتاب بعضهم فتورطوا **في معارضة ما لم يحسنوا فهمه**، ولم يطيقوا الصبر عليه، **فجاءت معارضتهم مثلًا لسوء الفهم، وسوء التخريج، وسوء القصد أحيانًا**، ولسنا بحاجة لأن نرد على هؤلاء، فإن سوء صنيعهم يكفينا إياهم، ولكننا نحب أن ننبه من عسى يحتاج إلى تنبيهنا من القراء إلى أن **هذا الكتاب حق**، وأن الاطلاع عليه يقتضي الصبر والأناة ودقة النظر، فإذا ظفر القارئ بأولئك فإنه **سيفتح ذهنه على فهم جديد، للقرآن وللإسلام وسيحمد عاقبة صبره وطول أناته**»[٣].

---

(١) انظر: محمود محمد طه رئيس الحزب الجمهوري يقدّم الإسلام، الطبعة الثانية: ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م، ص٤.

(٢) بيننا وبين الشؤون الدينية وأساتذتها من أزهريين ومن سعوديين، الإخوان الجمهوريون، الطبعة الأولى: ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م، ص٧.

(٣) الرسالة الثانية من الإسلام، محمود محمد طه، الطبعة الثالثة، ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م، ص٨، ٩.

فقد كان يكتب بمثل هذه النفسية الأستاذية، ليعامل القارئ كطالب غير رشيد، ومريد بين يديّ كتابه كالميت بين يدي المغسل، فيجب عليه أن يصبر على كتابه الذي هو حق بنظره، فيحمد الله بعدها، فهو يقول بفحوى عباراته: إما أن توافق أو تفارق، فليس منتظرًا من القارئ عنده أن يتفاعل مع السطور ما بين أخذ ورد بعين النقد، بل عليه أن يتلقى بسلبية، وإلا كان لا يفهم، وكيف سيراه يفهم وهو يتعامل مع سطوره كأنها الحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ومن خلفه، فمن نقده سيكون إما متحاملًا أو جاهلًا، كأنه لا يوجد خيار ثالث بأن يكون في الكتاب زلل وغلط، وليقول للقارئ متى رأيت خطأ نبه عليه، وسأحمد لك صنيعك، إلا أن هذا لم يكن واردًا عند محمود طه.

بل حتى من رد عليه ممن خالفه لم يكن يجد حاجة ليتعقب رده عليه، مع أن الرد يكون على ما تراه باطلًا وإلا متى سيرد؟ على من يوافقه مثلًا؟ ثم إن القرآن رد على المخالف في تعنته، والجاهل في مغالطاته، ولم يكتف بمجرد أن قال: صنيعك كافٍ، كل هذا يتجاوزه محمود ليتردد صدى صوته في أتباعه، فيقولون: «**هذه الدعوة التي رفع لواءها الأستاذ محمود محمد طه منذ أكثر من ربع قرن من الزمان، هي الإسلام، عائدًا من جديد، وهي الدعوة الوحيدة الناطقة اليوم عن المصحف في مشارق الأرض ومغاربها**»[(١)].

هذه الكلمات التي قالوها ورددوها، وكانت شعارًا لهم، ماذا كانت ردة فعلهم حين نسبوا إلى غيرهم ما يماثلها؟ قالوا: «**مثقف مسؤول في مواقع حرية الكلمة وحق التعبير قال: إن الأزهر عندنا هو الإسلام، ومن هنا ادعى أولئك المشايخ قداسة الإسلام، وأصبحوا لا يسمحون بالرأي المعارض لرأيهم ولا بمجرد المناقشة لوجهة نظرهم**»[(٢)].

---

(١) بيننا وبين الشؤون الدينية وأساتذتها من أزهريين ومن سعوديين، الإخوان الجمهوريون، ص٣، ٤.

(٢) الإخوان الجمهوريون في جريدة الأخبار المصرية؛ الكتاب الأول، الطبعة الأولى: ١٩٧٦م، ص٣، ٤، باختصار يسير.

فبمجرد أن نسبوا إلى «**مثقف مسؤول**» لا يُعلم من هو ولا ما منصبه، ولا أهليته وقدراته المعرفية، ولا مقدار تمثيله للمؤسسة التي تحدث باسمها، ولا ما هو المقال الذي أحالوا إليه، بمجرد هذا افترضوا بالقارئ أن يجاريهم في قولهم بأن هذا عين التعصب وادعاء القداسة والعصمة، وأنه مثال صارخ على الانغلاق وعدم سماع غير صوته، لكن أن يرددوا هم بأن دعوة محمود طه هي الإسلام، وليس هذا فحسب، بل هي الوحيدة الناطقة عن القرآن في الشرق والغرب، فهنا ينبغي للقارئ أن يترك عقله جانبًا ليردد معهم بأن الجمهوريين تميزوا بـ «**إخضاعهم كل شيء مما يأتون ومما يدعون للفكر الحر**»[(١)].

لقد كرروا نقدهم لغيرهم بأنه يعتبر «أن (دعوتهم) و (مناهجهم) و (برامجهم) إنما هي الإسلام!! **فمن عارضهم فقد عارض عنده الإسلام!!**»[(٢)]، وعلامات التعجب منهم، لكن على القارئ أن يترك هذا جانبًا، ويردد معهم: «**إن الفكرة الجمهورية هي الدين، وهي الحق الذي ما دونه إلا الباطل**»[(٣)]، وإن «**الفكرة الجمهورية هي وحدها الداعية إلى الله**»[(٤)]، أين التعصب الأعمى، وأين هي الأنا الوحيدة في الأمر؟ والأنا الوحيدة هو اصطلاح أطلق على ما يلزم المذهب المثالي الذاتي بأنه لا يوجد غيره في الكون، فلا يوجد إلا هو ووعيه وأفكاره أي لا يوجد إلا أنا الوحيدة.

إن الأنا الوحيدة تلقي بظلالها على سطورهم، لتجعلهم لا يكفون عن الغزل بأنفسهم إلى حد إطلاق الدعاوى الفجة، من عيار اعتبار أطروحاتهم «**ظاهرة فريدة ليس لها ضريب في تاريخ الحركات الفكرية على الإطلاق، هذه**

---

(١) السفر الأول، محمود محمد طه، ص٣.

(٢) مفارقة الإخوان المسلمين للشريعة والدين، الإخوان الجمهوريون، أم درمان، الطبعة الأولى: ١٩٧٩م/ ١٣٩٩هـ، ص٩.

(٣) أنقذوا الشباب من هذا التنظيم الدخيل، الإخوان الجمهوريون، ١٩٨٠م - ١٤٠٠هـ، ص٣٤.

(٤) أنقذوا الشباب من هذا التنظيم الدخيل، الإخوان الجمهوريون، ص٣٤.

الظاهرة هي الاتساق والانسجام التام الذي ينتظم سائر كتاباتنا ومواقفنا طوال هذه الحقبة من الزمان، فلا تناقض، ولا تخبط، ولا تخليط»(١).

فمنذ متى كان الاتساق وعدم التناقض الداخلي والانسجام ظاهرة فكرية لا مثيل لها في تاريخ الحركات الفكرية على الإطلاق؟ أين هي أطروحات كثير من الفلاسفة؟ فهي متسقة، ومنسجمة داخليًا، ولعل أقرب الأمثلة على هذا أفلاطون مع مثاليته، فهو متسق في المعرفة، والوجود، والسياسة، والفن، والأخلاق، والنفس، وغيرها، ثم إن الاتساق وهو طرد القواعد والمسائل، لا يلزم منه صحة الأطروحة، فمع أن الدليل يطرد، فالحق متسق، لكن لا يلزم من هذا أن كل متسق هو حق، وهو دليل، فقد يتسق المبطل مع باطله، والمسفسط [وهو الذي يدعي الحكمة وليس له سوى التمويه باسمها] مع مغالطاته، ألا ترى لو أن رجلًا كابر ونفى حقيقة، وقلت له: يلزمك على هذا أن تنفي كل الحقائق لتتسق وينسجم طرحك، فالتزم هذا خوفَ أن يقع في تناقض داخلي مع أطروحته، أيكون هذا مفخرةً له أم شناعةً يتندر بها العقلاء وهي تنادي على جهله؟ فمنكر كل الحقائق متسق مع إنكاره لحقيقة واحدة، ولا يقع في تناقض داخلي، وإن كان مبطلًا في الأمر نفسه.

ثم إن الاتساق في نظرية، أو أطروحة قد يدفع إلى المكابرة، فحتى لا يراجع صاحبها قواعده التي قررها، وطردها، قد يكابر في جزئية لا يراها تتفق مع صرحه الذي قال به، ومن هنا يقع بالأغلاط فينكر مسألة يراها تخالف قواعده، بعدَ أن حسب بأن قواعده قطعية حين اعتقد بأنه بناها على استقراء تام للجزئيات، ويحسب أن الجزئي المخالف قصارى الأمر فيه أنه ظني عارض القطعي عنده، والواقع أن استقراءه قد يكون ناقصًا، أو أن تعميمه دعوى من غير بينة، «فالعقل مغرم بالقفز إلى العموميات لكي يتجنب

---

(١) السفر الأول، محمود محمد طه، ص٤.

العناء»[١]، والجزئي الواقعي أثبت من تجريد الكلي الذهني الذي حسب أنه قطعي، فقد يعتقد صاحب النظرية أن نفيَ مسألة واحدة أهون عليه من مراجعة قواعده الكلية التي يتسق معها، وهذا يبيّن أن الحق متسق، لكنه لا يلزم منه أن كل متسق محق، إنما يلزم منه أن المتناقض مبطل، وسيأتي بحث مدى اتساق تلك الأطروحات التي قدمها محمود وتابعه عليها الجمهوريون بما يكشف دعواهم العريضة في هذا.

لقد اعتبروا أن أطروحاتهم تحرك عجلة التاريخ، فإن «التاريخ يكتب هذه الأيام من جديد»[٢]، «والتغيير الجذري الذي نعنيه هو تغيير لم يسبق له مثيل، منذ بدء النشأة البشرية»[٣]، وعلى هذا خذ من تلك الدعاوى العريضة، مثل قولهم «خرجت المرأة متمثلة في الأخت الجمهورية إلى الشوارع والأماكن العامة تدعو إلى الدين ولأول مرة في تاريخ الأديان»[٤]، فهل يقول مطلع بمثل هذه الدعاوى الفجة؟ وحتى غير المطلع فإنه متى التزم التواضع المعرفي لن يتكلم فيما يجهله، ولن يعمم كلامه على تاريخ لم يطلع عليه.

هل المرأة لأول مرة تخرج داعية إلى دين في تاريخ الأديان؟ بقطع النظر عن أي تقييم لهذا الخروج، فهل هو الأول من حيث الواقع؟ بمثل هذه المزايدة كان يمكن لسَجاح مدعية النبوة أن تقول من قبل لكنها لم تفعل، «وكانت سَجاح هذه قد ادعت النبوة بعد موت رسول الله ﷺ فاستجاب لها جماعة، فقالت: أعدوا الركاب، واستعدّوا للنهاب، ثم اعبروا على الرَّباب، فليس دونهم حجاب، فقاتلوهم!»[٥].

---

(١) الأورجانون الجديد؛ إرشادات صادقة في تفسير الطبيعة، فرانسيس بيكون، ترجمة: عادل مصطفى، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى: ٢٠١٣م، ص٢٢.

(٢) الإخوان الجمهوريون في جريدة الأخبار المصرية؛ الكتاب الأول، ص١٠، باختصار.

(٣) الثورة الثقافية، محمود طه، ١٩٧٢م ـ ١٣٩٢هـ، ص١.

(٤) السفر الأول، محمود محمد طه، ص١٣.

(٥) صيد الخاطر، عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، دار القلم، دمشق، الطبعة الثالثة: ١٤٣٣هـ ـ ٢٠١٢م، ص٤١٦.

وهي التي قال فيها عطارد بن حاجب:

أضحت نبيتنا أنثى يُطاف بها وأصبحت أنبياءُ الناسِ ذُكرانا[١]

ثم أين هو من الخوارج؟ فشبيب بن يزيد الشيباني خرج على الحجّاج، وهو وأتباعه **أجازوا إمامة المرأة منهم إذا قامت بأمورهم وخرجت على مخالفيهم**، وزعموا أن غزالة أم شبيب كانت الإمام بعد قتل شبيب إلى أن قُتلت، وكانت أمه غزالة تخطب فيهم، وكان ابنها شبيب قد هزم عشرين جيشًا للحجّاج في مدة سنتين، **وكانت معه أمه غزالة، وامرأته جهزية في مائتين من نساء الخوارج قد اعتقلن الرماح، وتقلدن السيوف**[٢]، لكن ينبغي للقارئ أن يضع كتب التاريخ جانبًا ويصدّقَ بأن أول مرة في تاريخ الأديان يعرف الناس امرأة تخرج إلى مكان عام وتتحدث في أمور الدين كان بفعل الجمهوريين فحسب!

لم يكن لمسلسل الأوائل هذا الذي قامت عليه دعاية الجمهوريين من نهاية قريبة، فهم أول من اتسق وانسجم في تاريخ الحركات الفكرية، وهم أول من أخرج المرأة إلى الميدان العام في تاريخ الأديان، والمفاجأة القادمة تتمثل بأن «الإخوان الجمهوريين. . **قدّموا المديح النبوي بحق، ولأول مرة في التاريخ، وهو مديح يتناول مظاهر عبودية النبي الكريم لربه، ومعرفته به، وتأدبه معه**»[٣]، بحق؟! هؤلاء القوم يتحدثون كأن غيرهم لا يعيش معهم في العالم نفسه! هم أول من قدم المديح النبوي بهذه الصورة التي يقولونها؟

---

(١) صيد الخاطر، عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، ص٤١٧.

(٢) انظر: الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم، عبد القاهر البغدادي، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي، دار الآفاق الجديدة، بيروت ـ لبنان، الطبعة الخامسة: ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، ص٨٩، ٩٠.

(٣) ألحان ومعاني الإنشاد العرفاني يمهدان للبعث الديني، الإخوان الجمهوريون، الطبعة الأولى: ١٩٧٦م/ ١٣٩٦هـ، ص٧.

ألم يقرأ هؤلاء ما جاء في صحيح البخاري أن النبي ﷺ قال: «**إن أخًا لكم لا يقول الرفث**، يعني بذلك عبد الله بن رواحة:

وفينا رسول الله يتلو كتابه ... إذا انشق معروف من الفجر ساطعُ
أرانا الهدى بعد العمى فقلوبنا ... به موقنات أن ما قال واقعُ
يبيتُ يجافي جنبه عن فراشه ... إذا استثقلتْ بالمشركين المضاجعُ»؟[(١)]

أم لم يقرأوا ما رواه مسلم في صحيحه من أن النبي ﷺ قال لحسان بن ثابت: «**إن روح القدس لا يزال يؤيّدك ما نافحت عن الله ورسوله**»؟ وقال عن هجاء حسان للمشركين ودفاعه عن النبي ﷺ: «**هجاهم حسّان فشفى واشتفى**»، قال حسان:

وقال اللهُ قد أرسلت عبدًا ... يقول الحقَ ليس به خفاءُ
وقال اللهُ قد يسّرت جندًا ... هم الأنصار عرضتها اللقاء
فمن يهجو رسول الله منكم ... ويمدحه وينصره سواءُ
وجبريلٌ أمين الله فينا ... وروح القدس ليس له كفاءُ[(٢)]

فهل ترك الصحابة مديح النبي ﷺ نثرًا وشعرًا وهم أنصار الإسلام، وهم من امتلك ناصية اللغة وتفتق لسانهم عن بلاغة شعرها وغاب هذا حتى جاء قوم بعد القرون المديدة فتداركوا النقص، واستحدثوا هذا القسم من الأشعار؟ ثم هب أن الجمهوريين لم يطالعوا هذا وأمثاله ـ وسيأتي بيان حالهم في الاطلاع على كتب الحديث ـ فما بالهم تنكروا للمعلوم المتواتر من تعاقب عصور المسلمين على مدح نبيهم بالنثر والشعر مما يبرز «**مظاهر عبودية النبي الكريم**

---

(١) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، دار ابن كثير، دمشق-بيروت، الطبعة الأولى: ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م، ص٢٧٩، حديث رقم: ١١٥٥.

(٢) صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى: ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م، ص١١٦٣، ١١٦٤، رقم: ١٥٧، باختصار.

لربه، ومعرفته به، وتأدبه معه»[١]، أين هو الجديد الذي يصل إلى حد وصفه منهم لأول مرة في التاريخ!

وشتان بين شعر مدحه النبي ﷺ ونفى الرفث عنه ووصف قائله بأن روح القدس معه، وبين (شعراء) الجمهوريين وما في شعرهم من محتوى، وسيأتي بيان ما رددوه في أشعارهم، هل هو المديح بحق؟

وبعد هذا هل يُتوقع من أنصار محمود طه أن يقولوا فهمتم دعوته بشكل صحيح؟ وهو الذي يتكلم بطرح أستاذي كأن غيره لا يفهمون، ولا يراجعون، ولا يمكنهم أن يتكلموا بنقد اتجاهه؟ هل يتوقع من قوم كل حين يقولون بأنهم أول من اتسق ولم يتناقض، أول من حرر المرأة، أول من أنشد في العالمين، أن يقولوا كان هنالك غير الـ «الأنا الوحيدة»؟

هل يتوقع منهم أن يسلموا بفهم ما كتبه محمود عند وضع أطروحاته تحت مجهر النقد؟ لعلهم وفروا الجواب على القارئ حين عجبوا من دعوة أحد الكتاب لهم بأن يرجعوا إلى المفتي ليقول لهم قوله فيما يكتبون، فكتبوا: «كيف يقرر بهذه البساطة أنه يمكننا أن نحتكم إلى المفتي ليفصل في فكر رجال مفكرين أدلوا بدلوهم في معين الإسلام الصافي، **وخرجوا بعلم لا قِبَل للفقهاءِ به؟**»[٢]، ففي كل مرة يأتون بما يندرج تحت عنوان: لأول مرة في التاريخ، وبما لا قبل لغيرهم به، فكيف لغيرهم أن يفهمهم؟

لقد كرروا على مسامع نقادهم قول زعيمهم محمود طه بأن الناقد «**لم يعط نفسه من الأناة والصبر ليفهم ما نقول، على الوجه الذي نريد، ولذلك انتهى إلى نتائج خاطئة**»[٣]، ليس هذا موجهًا إلى ناقد معين فحسب، بل رددوا أن

---

(١) ألحان ومعاني الإنشاد العرفاني يمهدان للبعث الديني، ص٧.
(٢) الإخوان الجمهوريون في جريدة الأخبار المصرية؛ الكتاب الأول، ص٣٦.
(٣) الإخوان الجمهوريون في جريدة الأخبار المصرية؛ الكتاب الأول، ص٤٥.

هذا حال «**كلِّ معارضٍ فكرتنا من الفقهاء، فهم لا يعارضون حقًا ما نقول، وإنما يعارضون أوهامًا يتوهمونها عنّا**»(١)، هذا حال كل الفقهاء، لم يفهموهم، وليس من الفقهاء فحسب، بل هذا حال «**كل معارضينا إنما يعارضون ما يتوهمونه عن دعوتنا مجرد التوهم**»(٢)، فما هي تلك الأطروحات غير المفهومة التي تجعل أنصارها يعتقدون أنهم هم الذين فهموها وحدهم؟

لقد كرروا النصيحة للنقاد بأن على الناقد «**أن يتسلح بالمعلومات الوافية، المتوافرة في كتب الجمهوريين**»(٣)، ولعمري إنها خطةٌ منصفة أن يجري الاطلاع على ما كتبوه لفهمهم، وهذا ما حرصت عليه سطور هذا الكتاب، بأن تُرجع مقالاتهم إلى مصادرها في كتبهم، بالإحالة إلى الاسم والصفحة، لا الحديث على وزن كلامهم بأن هناك كلامًا «عبر عنه مثقف مسؤول»(٤)، لقد كرروا دعوتهم لأي ناقد بأن «**من الواجب عليه أن يقرأ لهذا الفكر**»(٥)، لكن مع الاستجابة لهذا هل يتوقع منهم أن يقولوا فهمتم الآن ما طرحه محمود طه وأتباعه؟

إن الافتراض المعزَّز من كتابات محمود طه يدفع إلى أن المتوقع هو التعنت مرة أخرى بأنكم لم تفهموه، فقد اتهم محمود طه زعيم الجمهوريين غيره بأنه لم يفهم، **لا لأنه لم يقرأ، بل لأنه قرأ!** بحق لك أن تتخيل هذا الفكر الحر الذي يحتكم إليه الجمهوريون، كتب محمود طه قائلًا: «**نحن نتهم**

---

(١) الإخوان الجمهوريون في جريدة الأخبار المصرية؛ الكتاب الأول، ص٤٥.

(٢) الميزان بين محمود محمد طه والأمانة العامة للشئون الدينية والأوقاف، الإخوان الجمهوريون، فصل: «الدعوة الإسلامية الجديدة» دعوة إلى أحياء السنة، على موقع: https://www.alfikra.org.

(٣) الإخوان الجمهوريون في جريدة الأخبار المصرية؛ الكتاب الأول، ص٤١.

(٤) الإخوان الجمهوريون في جريدة الأخبار المصرية؛ الكتاب الأول، ص٤.

(٥) الإخوان الجمهوريون في جريدة الأيام السودانية، الطبعة الأولى: ١٩٧٦م، ص٣١.

الدكتور مصطفى محمود بأنه اعتمد على القراءة في تحصيله للتوحيد، وليس معنى هذا أن الدكتور لا يعبد، ولكن معناه أنه لم يتقن العبادة حتى يدخل بها مداخل العبودية، إذ ليست مرحلة العبادة مرحلة تذوق الحقيقة، وإنما مرحلة إعداد لهذا التذوق، هي مرحلة عقيدة، في حين أن مرحلة تذوق الحقيقة مرحلة علم، ولا يستقيم الحديث لمتحدث عن أصول الدين قبل إتقانه مرحلة العلم هذه»[١].

فالمرء لن يعلم حتى يذوق بنظره، لكن كيف أمكن له أن يتهم غيره بأنه لم يذق؟ وكيف يمكن لغيره أن يثبت له ذوقه؟ بل كيف لمحمود طه نفسه وأنصاره أن يثبتوا لنا أنهم ذاقوا؟ ثم الأهم من هذا كله من جعل الأذواق معيارًا للحقائق؟! كتب محمود طه: «التوحيد ذوق، فهو لا يدرك بالقراءة»[٢]، وكتب: «ديننا ليس دين قراءة»[٣]، وكتب: «حقيقة القرآن لا تعرف عن طريق القراءة»[٤].

فلماذا يكتب محمود نفسه!؟ مكررًا على قرائه قوله بأن «كل آيات القرآن موظفة لتجذب كل إنسان ينحرف على التوحيد، بالوعد الوعيد لتحقيق التوحيد، مركز القرآن لا إله إلا الله، ولأنها أصل الدين قامت عليها الرسالات»[٥].

فالرسل جاءت لتعلِّم الناس التوحيد، فمعنى هذا أن النبي ﷺ علَّم الناس التوحيد، فلما نقرأ القرآن، ونقرأ الأحاديث الصحيحة نعلم التوحيد

---

(١) القرآن ومصطفى محمود والفهم العصري، محمود محمد طه، أم الدرمان، السودان، ١٩٧١م، ص٢٨.

(٢) القرآن ومصطفى محمود والفهم العصري، محمود محمد طه، ص٢٧.

(٣) لا إله إلا الله، محمود محمد طه، ٢٤ مايو ١٩٦٩م، ص٢١.

(٤) الكتاب الأول من سلسلة رسائل ومقالات، بيني وبين الدكتور الفاضل مصطفى محمود، على موقع: https://www.alfikra.org

(٥) لا إله إلا الله، محمود محمد طه، ص١١.

الذي جاء به النبي ﷺ، وقامت بهذا الحجة علينا، أليس كذلك؟ لا حتمًا لم يقصد هذا محمود طه، ولا حتى لا إله إلا الله هي التوحيد عنده، بل «لا إله إلا الله هي هادية التوحيد، والتوحيد هو العلم اللدني، الذي يؤخذ من الله مكافحة، فهو لا يعلمنا إياه النبي إلا في معنى أنه فاتح بابه، وقدوة السلوك إليه»(١).

هي مجرد باب، علامة طريق، وإلا فليست تلك الكلمة وتحقيقها التوحيد، ولم يعلِّم النبي ﷺ أصل الدين، الذي هو التوحيد، كان مجرد فاتح للباب، أمام الدخول إليه، والدخول إليه يعني أن تأخذ من الله مباشرة، تتلقى المعرفة من الخالق، دون أي وساطات، ومن هنا فلا معنى للكتب، ولا الدفاتر، ولا التعلم، ولا التعليم، ولا حتى الرسول، وأنت تأخذ عن علّام الغيوب.

فمحمود طه قال لمصطفى محمود توقف! فأنت لا تصلح للحديث في أصل الدين، لأنك تقرأ، وتأخذ علمك عن الكتب، أما هو فيحق له أن يكتب ما يشاء في أصل الدين، لماذا؟ لأنه يدعي أنه ذاق، كتب محمود طه:

«أما أنا فقد بدأت بالجانب التطبيقي في العبادة بإحياء السنة، قولًا وعملًا، وسلوكًا، منتظرًا موعود الله، حيث قال: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾ [البَقَرَة: ٢٨٢] فلمّا جرى على لساني، وقلمي، وسيرتي ما علمني الله من حقائق دينه، ظنه الناس ليس من الإسلام»(٢).

فعلى القارئ أن يصدق بأن محمود تلقى المعرفة عن الله مباشرة، كفاحًا بلا وسائط، بلا حاجة إلى مراجع، ولا إلى سهر بين الصفحات، إنه يأخذ

---

(١) القرآن ومصطفى محمود والفهم العصري، محمود محمد طه، ص٢٧.

(٢) الكتاب الأول من سلسلة رسائل ومقالات، بيني وبين الدكتور الفاضل مصطفى محمود، على موقع: https://www.alfikra.org

العلم لا كغيره يقرأ! فكيف سنفهم محمود طه وكتابات الجمهوريين، إن كان لابد لنا أن نأخذ العلم عن الله مباشرة؟!

ما الحاجة ليقول الجمهوريون للناس: أنتم لم تفهمونا، وراجعوا كتبنا، إن كانوا سيقولون لهم: لم تفهموا بعد لأنكم قرأتم لنا، ولتفهموا توقفوا عن القراءة الآن، واتجهوا إلى التعلم من الله مباشرة، فيا ليت شعري ما الحاجة إلى الحزب الجمهوري، ولمحمود طه إن كان هذا اللازم على الناس، أن يتصلوا بالله مباشرة؟ إنها نتائج مخيبة تمامًا، قاتلة لأدنى أمل يدفع لافتراض موقف من الجمهوريين يقولون فيه: أخيرًا ها قد وجدنا واحدًا يفهمنا، باستثناء واحد يقول هو من أتباع محمود طه!

ويلح هنا السؤال القائل: لماذا كان محمود طه يكتب، إن كان العلم ليس في الكتابة، لماذا كان الجمهوريون يوزعون كتبه على الناس، ويوصون كل مخالف بالاطلاع على ما سطروه، لقد سجل التاريخ حال شخصية أكثر اتساقًا مع نفسها من محمود طه، ذلك هو عليّ الخواص أحد المتصوفة، قال: «**العارفون ليس لهم آلة إلى فهم كلام ربهم أو غيره، إلا بالكشف والذوق لا الفهم والفكر**، ومرادنا بهذا الكشف هو كشف العلوم والمعارف الحاصل بالنفث والروع لا الكشف المعهود في الحس»[(١)]، فهو يقول لا نحتاج إلى فكر، لا إلى فكر حر ولا إلى غيره، لفهم الكلام، كلام الله أو كلام غيره، المسألة مسألة ذوق عند العارفين كما يقول محمود طه، لذا لا حاجة للقراءة والاطلاع، ولكنه اتسق مع نفسه، فكان «**أميًا لا يقرأ ولا يكتب**»[(٢)]، فعلى هذا لو أعطاه محمود طه كتبه لن يقرأها، أهذا هو الفكر الحر الذي يدعو إليه الجمهوريون، أن يرجع الناس إلى الأمية، ويتركوا الأقلام والدفاتر، ليفهموهم؟

---

(١) درر الغوّاص من فتاوى عليّ الخواص، عبد الوهاب الشعراني، المكتبة الأزهرية للتراث، ص٨.

(٢) درر الغوّاص من فتاوى عليّ الخواص، عبد الوهاب الشعراني، ص٣.

عليٌّ الخواص كان أكثر اتساقًا كونه أميًا، ومع ذلك فهو لم يتسق تمامًا فما معنى أن يقول هذا الكلام لتلميذه الشعراني، فيسجله الشعراني في كتاب وينقله إلى الناس، ما الحاجة لتلك الكلمات إن كان العلم لا يكمن بالكلام، ولا الحروف، بل هو شيء يتعلق بالذوق، إن هذا الأمر يذكر بحجة أحد السفسطائيين حين قال لفيلسوف: أنت تعلّم الناس بالأحرف التي حفظناها؟ قال له: نعم، قال: فأنت لا تعلّمهم شيئًا، فالحروف يحفظها الكل، وأنت تردد ما يعرفه الجميع كونك تردد تلك الحروف، فكأن الحروف لا تنقل بعد جمعها ووضعها بطريق مخصوص أي معنى جديد!

فإن كان درس التاريخ بالعربية، فمحتواه سيكون كدرس العقائد متى كان باللغة نفسها، وبما أن اللغة معروفة للعالِم والجاهل، فالعالِم لا ينقل أي معرفة بالكتابة، أو الكلام، فيكفي للأهلية المعرفية حينها محو للأمية، ثم يصبح الكل مثل أي عبقري وعالم، فكأن هذه الحجة حاكمة على هذا الكلام، لذا تمت إضافة الذوق للخروج من المأزق!

لكن ألم يقل الجمهوريون بأنهم أنصار الفكر الحر؟ ما معنى الفكر الحر عندهم؟ فإن كان الأمر بهذه الصورة، فكما يبدو لن يفهمهم أحد من البشرية بنظرهم، ولن يعترفوا بفهم أحد ما لم يردد خلفهم: آمين، على كل كلمة يقولونها، إنهم صرحوا بوضوح وبلا هوادة، وفي (السفر الأول) لهم، بقولهم: **«لا أقل من الفكر الحر، الذي يضيق بكل قيد، ويسأل عن قيمة كل شيء، وفي قيمة كل شيء، فليس شيء بمفلت عن البحث، وليس شيء عنده بمفلت من التشكيك»**[1].

هل هذا يعني أنهم سيتشككون بحكاية الأخذ عن الله مباشرة التي يحوم حولها محمود طه؟ ألم يقولوا إنهم يتشككون بكل شيء، سيبحثون في كل شيء، لن يدعوا أحدًا يمرر خرافاته بلا براهين بمجرد الدعاوى الواسعة؟

(١) السفر الأول، محمود طه، ص٥، ٦.

لقد اقتربنا سنجد أخيرًا أرضية للحوار معهم، إنهم يتشككون بكل شيء بما يفترض أن يشمل أطروحاتهم، بما يشمل كلمات محمود طه! ماذا يريدون أكثر من الفكر الحر الذي لا يدع شيئًا يفلت من تشككه، وبحثه عن الأدلة؟ إلا أنهم سارعوا إلى بيان مرادهم في (السفر الأول) نفسه، فقالوا: «لا نجعل في حسابنا موضع إهاب للهمم الفواتر التي رمتها نوازع الشكوك، واعتركت على مقاعد يقينها غوائل الظنون، وشعّبتها مصارف الريب»[(١)].

ليس بينهم متشكك يصفونه بفاتر الهمة، ولا تارك يقينه بما يقولونه للظنون التي هي أقوال مخالفة لهم، ولا الريب الذي قد يدفعه النقد لمقالاتهم، نحن هنا أمام فكرة واضحة: كل ما نقوله لكم حق، ويقين، لا تتشككوا فيه، صدّقوا به، حتى ولو قال زعيمنا: إنه يأخذ عن الله مباشرة، هذا يفترض أن تمرروه، ليس بيننا من يتشكك، أما من يخالفنا، فعليه أن يتشكك، في كل شيء، ونحن معه كذلك، سنتشكك معه بكل قول يخالفنا، إلا أقوالنا، أليس هذا فكرهم الحر؟!

هذه الفكرة بمنتهى الوضوح: لن تفهمونا ما لم توافقونا، سنقول لكم: لم تقرأوا كتبنا، فإن قرأتموها لم تذوقوا ما فيها، وعدم فهمكم دليله أنكم لم توافقوا عليها فهي الحق المأخوذة عن الحق كفاحًا، لكننا نفهمكم حتى ولو خالفناكم، حزبهم من الله، وغيرهم بائس لا يفهم، متحجر جامد، هم أصحاب الفكر الحر الذي يتشكك بكل ما قاله غيره، لكنه لا يشك لحظة فيما قاله، غيرهم ظلامي كونه لم يردد معهم بأنه «لا يجرؤ أحد من المثقفين، حتى يومنا هذا، إلا أصحاب العقل الحر والفكر المستنير، وهم قليل، على الاستشهاد بأقوال الأستاذ محمود، أو آرائه، وإن نطق الواقع بصحة أقواله،

---

(١) السفر الأول، محمود طه، ص٢١، ٢٢.

وأفصحت الأحداث عن عبقرية آرائه وسلامتها»[١]، هكذا تجري الأمور عندهم باختصار! إن ما يقدمونه مجرد نموذج للتعصب، على أن «التعصب هو موت المحادثة، ماذا تقول لشخص يرفض أن يتفهم حججك، وإذا لم تسلم بحججه فإنه يفضَل الهلاك على التسليم»[٢].

ومن قبل هذا التاريخ بقرون كان قد سيق إلى الإعدام، بتهمة الردة عن الإسلام، وبقيت أطروحاته ملهمة للعديد من أنصاره، كان تعليقه على الصليب قريبًا من رواية الكنيسة عن المسيح، لذا كتب بعضهم عنه باعتباره «**مسيحية الإسلام**»[٣]، واندفع المستشرقون يبحثون في أخباره لنشرها، ذاك الحلّاج، الذي قال:

ألا أبلغ أحبائي بأني ... ركبت البحر وانكسرَ السفينة
على دين الصليب يكون موتي ... ولا البطحا أريد ولا المدينة[٤]

وقال:

كفرتُ بدين اللّه والكفر واجبٌ ... لديّ وعند المسلمين قبيحُ[٥]

سأله رجل: «دلني على التوحيد؟ فقال: **خارج عن الكلمة حتى يعبر عنه**،

---

(١) الأستاذ محمود محمد طه والمثقفون (٣)، لعبد الله الفكي البشير، نقلاً عن صحيفة الأحداث، الخميس ٩ سبتمبر ٢٠١٠م، منشور في قسم المقالات على موقع: https://www.alfikra.org

(٢) مثالب الولادة، إميل سيوران، ترجمة: آدم فتحي، منشورات الجمل، بغداد-بيروت، الطبعة الأولى ٢٠١٥م، ص١٤٢، باختصار.

(٣) من مقدمة أكرم أنطاكي، لكتاب: أخبار الحلاج؛ من أندر الأصول المخطوطة في سيرة الحلاج، علي بن أنجب الساعي البغدادي، تحقيق: موفق فوزي الجبر، دار الطليعة الجديدة، دمشق-سورية، الطبعة الثانية: ١٩٩٧م، ص٢١.

(٤) الحلاج؛ الأعمال الكاملة، قاسم محمد عباس، رياض الريس للكتب والنشر، الطبعة الأولى: ٢٠٠٢م، ص٣٣٤.

(٥) أخبار الحلاج، علي بن أنجب الساعي البغدادي، ص٩١.

قلت: فما معنى لا إله إلا الله؟ قال: كلمة شغل بها العامة لئلا يختلطوا بأهل التوحيد»[١]، فالعلم ليس في الكلمات.

ومع ذلك فقد ردد أنصاره بعد موته المقولة التي تقول: لم تفهموه قط، فقد جاء بعلم لا قبل للفقهاء به، قال أبو العباس المرسي: «أكره من الفقهاء قولهم بكفر الحلّاج، فلم يثبت عنه ما يوجب القتل، وما نقل عنه يصح تأويله، نحو قوله: على دين الصليب يكون موتي: ومراده أنه يموت على دين نفسه، فإنما هو الصليب»[٢]، فعلى مثل هذا التأويل كانوا يحملون كلامه، حتى ولو قال: كفرت بدين الله والكفر واجب! كل هذا له تأويل، حتى يسلم لهم الإمام، ولا ينفذ في مقالاته نقد.

ويمكن لأي شخص أن يعيش داخل نفسه، دون أن يسمع غيره، أن يقول: هو الحق الذي دونه الباطل، ويصم أذنيه عن أي بينة وأي برهان، لكنه يفقد صفة العقل التي تميز الإنسان، العقل الذي يصغي للأقوال فيتبع أحسنها، يوازن، ويأخذ ويرد، لا يعتبر أقواله مقدسة لمجرد أنها صدرت عنه، إذ يعلم أن لغيره نفوسًا أيضًا، فإن كان الحق لأن نفسه تذوقته، ماذا سيقول لخصمه إن قال هو على حق لأن نفسه أيضًا تذوقت، سيصدم هنا بنقطة النفوس المغلقة، التي لا تقدر على أن تدلي بدلوها بأي حجة وأي برهان، فلكل نفسه، ولكل أذواقه.

ومن هنا ينصر العقل البراهين، والأدلة، ويقول لخصومه: ﴿هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ [البَقَرَة: ١١١]، لا أنا على حق لأني تذوقت، وأنت لم تتذوق، وخصمه يردد عليه هذا مثل الكلام، وقد روي «عن قتادة،

---

(١) أخبار الحلاج، علي بن أنجب الساعي البغدادي، ص٨٢، ٨٣.

(٢) لطائف المنن والأخلاق في وجوب التحدث بنعمة الله على الإطلاق، عبد الوهاب الشعراني، اعتنى به: أحمد عزو عناية، دار التقوى، دمشق، الطبعة الأولى: ٢٠٠٤هـ، ص٥٦٥، باختصار.

قال: الرجال ثلاثة: رجل، ونصف رجل، ولا شيء، فأما الرجل الذي هو الرجل فرجل له رأي وعقل فينتفع به، وأما الرجل الذي هو نصف رجل فرجل يشاور الناس، وأما الذي ليس بشيء، فرجل ليس له رأي ولا عقل ولا يشاور الناس»[١]، فكيف بعدها إن حسب أنه الوحيد في الكون؟

---

(١) أمالي ابن سمعون، محمد بن أحمد بن إسماعيل بن عنبس البغدادي، دراسة وتحقيق: عامر حسن صبري، دار البشائر الإسلامية، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى: ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م، ص٢٧٦، ٢٧٧.

معرفةٌ روحيةٌ أم سرقات؟

لم يخفِ الإخوان الجمهوريون عداءهم لأطروحات الإخوان المسلمين، فخصصوهم بالنقد في كتاباتهم فكتبوا (هؤلاء هم الإخوان المسلمون) في ثلاثة أجزاء، وكتبوا (مفارقة الإخوان المسلمين للشريعة والدين) وغيرها من المؤلفات، ومع ذلك فقد جاء في (السفر الأول) للجمهوريين قولهم: «**عمل الإخوان الجمهوريين اليوم إنما هو ليكونوا غدًا إخوانًا، وليكونوا مسلمين، فإن هذين الاسمين هما اللذان سوف ينطبقان عليهم يومئذ**»[1]، أي سيصبحون يومًا ما باسم (الإخوان المسلمين)، لربما هذه الكلمات كانت مجرد اتفاق عابر، ولم يقصدوا بها أي محاكاة لخصومهم، لكن الأمر لم يتوقف عند هذا الحد.

وعلى الرغم من التشابه في الأسماء بين بعض كتاباتهم وبعض كتابات الإخوان، على سبيل المثال كتابهم (**معالم على طريق** تطور الفكرة الجمهورية) في جزئين، واسم كتاب سيد قطب (**معالم في الطريق**)[2] الذي عرّفوه بقولهم: «كتابه (معالم في الطريق) نموذج لضعف التوحيد لدى هذه الجماعة [أي جماعة الإخوان]، **وهو من أكبر مفلسفيها، إن لم يكن أكبرهم على الإطلاق، وكتابه هذا أكثر المراجع تداولاً بين أفرادها، وأعمقها أثرًا في رسم تصورهم**»[3]، لكن هذا قد لا يعني الكثير، فهذا قد يقع اتفاقًا، أو لتردد الاسم كثيرًا.

---

(١) السفر الأول، محمود محمد طه، ص٧.

(٢) ولأخته أمينة قطب رواية حملت اسمًا شبيهًا (في الطريق).

(٣) هؤلاء هم الإخوان المسلمون، الجزء الأول، الإخوان الجمهوريون، الباب الأول: تنظيم الإخوان المسلمين في مجال الفكرة، الفصل الأول، على موقع:
https://www.alfikra.org

كان سيد قطب قد فرغ من كتابه (معالم في الطريق) سنة **١٩٦٢م**، وقرأته زينب الغزالي حينها[١]، وسيتكرر التشابه بين كتابات الجمهوريين وزعيمهم محمود طه التالية وما في هذا الكتاب، وغيره من كتابات سيد قطب، جاء في الطبعة الثالثة من (السفر الأول) سنة **١٩٧٦م**، حديثهم عن «**البعث الديني**»[٢]، في مشابهة لكلمات سيد قطب بأنه «**لابد من بعث لتلك الأمة**»[٣]، «**المسافة بين محاولة البعث وبين تسلم القيادة مسافة شاسعة**»[٤]، كتب محمود طه في مقالاته التي طبعت للمرة الأولى **١٩٧٣م**: «**لازمة من لوازم البعث الإسلامي**»[٥]، ومن قبله كتب سيد قطب عن «**عملية البعث الإسلامي**»[٦].

كتب محمود طه: «**المسلمون كأمة لم يجيئوا بعد**»[٧]، «**الأمة المسلمة لم تدخل في الوجود بعد**»[٨]، ومن قبله سيد قطب: «**وجود الأمة المسلمة يعتبر قد انقطع منذ قرون كثيرة... ولا بد من إعادة وجود هذه الأمة**»[٩].

وكتب محمود طه: «**طلائع الأمة المسلمة التي لم تجئ إلى اليوم**»[١٠]، ومن قبله كتب سيد قطب: «**لابد من طليعة تعزم هذه العزمة وتمضي في**

(١) انظر: أيام من حياتي، زينب الغزالي، نسخة إلكترونية، ص٢٠.
(٢) السفر الأول، محمود طه، ص١٤.
(٣) معالم في الطريق، سيد قطب، دار الشروق، بيروت ـ القاهرة، الطبعة الشرعية السادسة، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، ص٦.
(٤) معالم في الطريق، سيد قطب، ص٦.
(٥) الكتاب الأول من سلسلة رسائل ومقالات، بيني وبين الدكتور الفاضل مصطفى محمود، على موقع: https://www.alfikra.org
(٦) معالم في الطريق، سيد قطب، ص٩.
(٧) الرسالة الثانية من الإسلام، محمود محمد طه، ص١٦٨.
(٨) الإسلام وإنسانية القرن العشرين، محمود محمد طه، الطبعة الأولى: ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م، ص٤.
(٩) معالم في الطريق، سيد قطب، ص٥، ٦.
(١٠) الرسالة الثانية من الإسلام، محمود محمد طه، ص١٦٩.

الطريق. . . لهذه الطليعة المرجوة المرتقبة كتبت معالم في الطريق»[١]، هل يتوقف التشابه؟ ليس بعد.

كتب محمود طه: «المسلمون اليوم ليسوا على شيء، وإنما هم في التيه، يعيشون الجاهلية الثانية»[٢]، ومن قبله سيد قطب: «نحن اليوم في جاهلية كالجاهلية التي عاصرها الإسلام أو أظلم»[٣].

وكتب محمود طه: «إن الزمان قد استدار كهيئته يوم بعث الله محمدًا، داعيًا إليه، ومرشدًا ومسلكًا إلى طريقه، وقد انغلقت اليوم بتلك الاستدارة الزمانية جميع الطرق التي كانت فيما مضى واصلة إلى الله، وموصلة إليه»[٤].

وكتب سيد قطب: «لقد استدار الزمان كهيئته يوم جاء هذا الدين إلى البشرية وعادت البشرية إلى الموقف الذي كانت فيه يوم تنزل هذا القرآن على رسول الله ﷺ. . . لقد استدار الزمان كهيئته يوم جاء هذا الدين إلى البشرية بلا إله إلا الله، فقد ارتدت البشرية إلى عبادة العباد، وإلى جور الأديان»[٥]، فهل يمكن تلخيص كلمات سيد قطب بشكل أوضح مما قاله محمود طه؟

وكتب محمود طه: «إن القرآن، في حقيقته الأزلية، موسيقى علوية»[٦]، وهذا مسبوق من سيد قطب الذي كتب: «هذه السورة في عمومها كأنها منظومة موسيقية علوية»[٧]، وكان سيد قطب منهمكًا في هذا الجانب قبل أن يتأسس

(١) معالم في الطريق، سيد قطب، ص١٠.

(٢) محمود محمد طه يدعو إلى طريق محمد، ص١٦.

(٣) معالم في الطريق، سيد قطب، ص١٧.

(٤) محمود محمد طه يدعو إلى طريق محمد، ص٢٧.

(٥) في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، بيروت-القاهرة، الطبعة الشرعية الثانية والثلاثون، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م، ج٢، ص١٠٥٧.

(٦) الكتاب الأول من سلسلة رسائل ومقالات، خطاب إلى المحامي العام في الباكستان بشأن دستور الباكستان والقرآن، على موقع: https://www.alfikra.org.

(٧) في ظلال القرآن، سيد قطب، ج٦، ص٣٤٠٤.

الحزب الجمهوري، حيث إنه كتب كتابه (التصوير الفني في القرآن) «وكتاب التصوير الفني يعود إلى سنة ١٩٣٩م، حين نشر جانبًا مركّزًا منه في (المقتطف)»[١].

هذا يدفع إلى أسئلة عن المعرفة التي زعم محمود طه أنها تتلقى عن التذوق، ومن ذلك: هل عملية التذوق التي كرر الحديث عنها لا تعطي معلومات كانت مجهولة لنا، فتكون كلماته مسبوقة في مصادر متفرقة لم يسمها محمود نفسه؟ ما فائدة تلك الدعوى من تلقي العلم عن الله كفاحًا إن كان مدعيها لا يأتي بمعرفة جديدة، بل كلماته متفرقة في كتابات لا يذكرها على أنها مصادر؟ أليس هذا يجعل افتراض أنها سرقات أقرب من افتراض أنها معرفة لدنيّة؟

كتب محمود طه: «القرآن كتاب عقيدة وشريعة وحقيقة، ولما لم تكن إلى حقيقته من سبيل إلا عن طريق عقيدته، فشريعته، ولمّا لم يكن من مصلحة العقيدة أن تصادم دعوتها ما تعطيه البداهة المشاهدة بالعين، فإنه جاءنا بظاهر يجاري الوهم الذي أعطتنا إياه الحواس عن عالم الظاهر، وبباطن يرتكز على الحق الصراح»[٢].

هذه الفكرة تقول بأن القرآن ليس من مصلحته مصادمة وَهْم الناس الذي تعطيهم إياه الحواس، وبالتالي فإن ظواهر النصوص تجاري ذلك الوهم، بخلاف الحق في نفسه، فهو الباطن، وهو الحق الصراح، وكتب محمود موضحًا فكرته: «في نظر العارفين، يرون صراحة القرآن في ذلك إنما هي مجاراة «لوهم» الناس ريثما ينقلهم القرآن إلى المعرفة التي ينتفي معها (الوهم)»[٣].

---

(١) سيد قطب وثورة يوليو، حلمي النمنم، ميريت للنشر والمعلومات، القاهرة، ١٩٩٩م، ص٣٦.

(٢) الرسالة الثانية من الإسلام، محمود محمد طه، ص٧٥.

(٣) الكتاب الأول من سلسلة رسائل ومقالات، الإله-تعقيب على الأستاذ الجليل عباس محمود العقاد، على موقع: https://www.alfikra.org، باختصار.

وهذه الفكرة قديمة، قالت بها الباطنية، الذين يرون أن الظاهر لا يدل على الحق، وقال بها العديد من الفلاسفة مثل ابن سينا، حيث قال: «لو كلَّف الله تعالى رسولًا من الرسل، أن يلقي هذه الأمور إلى الجمهور من العامة الغليظة طباعهم، المتعلقة بالمحسوسات الصرفة أوهامهم، ثم سامَه أن يكون منجزًا لعامتهم الإيمان والإجابة، غير ممهل فيه، ثم سامَه أن يتولى رياضة نفوس الناس قاطبة، حتى تستعد للوقوف عليها، لكلفه شططًا، وأن يفعل ما ليس في قوة البشر»[(١)]، ليقرر بعدها بأن «الشرائع واردة لخطاب الجمهور بما يفهمون، مقرِّبًا ما لا يفهمون إلى أفهامهم، بالتشبيه والتمثيل، ولو كان غير ذلك ما أغنت الشرائع، وكيف يكون ظاهر الشرع حجة في هذا الباب؟!»[(٢)].

ولكن مهلًا، فإن محمود طه يقول: «إن الصوفية هم أنصار السنة النبوية، وهم يمشون في الأرض وترتبط أفكارهم في السماء، كل واحد منهم الشجرة الطيبة التي قال الله عنها: إن أصلها ثابت وفرعها في السماء، وهم بذلك أصحاب شريعة وحقيقة»[(٣)]، فهو يسلم بأنهم أنصار السنة، وأنهم أصحاب شريعة وحقيقة، لكن لو يسمي لنا واحدًا من هؤلاء حتى لا يقال عن أي شخص يرد عليه بأنه لا يعتبره منهم، قال محمود طه: «إن الصوفية والصالحين من أمثال الغزالي»[(٤)]، فالغزالي عنده من أهل الحقيقة والذوق، فماذا قال الغزالي عن كلام ابن سينا السابق؟

قال الغزالي بأن قائل هذا يجعل «الأنبياء ذكروا ما ذكروه على سبيل المصلحة، تمثيلًا لجماهير الخلق وتفهيمًا وهذا هو الكفر الصراح، الذي لم

---

(١) الأضحوية في المعاد، ابن سينا، تحقيق: حسن عاصي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، الطبعة الثانية: ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م، ص٤٩، ٥٠.

(٢) الأضحوية في المعاد، ابن سينا، ص٥٠.

(٣) القرآن ومصطفى محمود والفهم العصري، محمود محمد طه، ص١٥٠.

(٤) أسئلة وأجوبة؛ الكتاب الثاني، محمود محمد طه، ١٣٩١هـ-١٩٧١م، ص٤٩

يعتقده أحد من فرق المسلمين»[١]، فلما يكون الظاهر مجاراة لأوهام الناس، فهذا يعني أن الأنبياء يجارون أوهام الخلق حتى ولو كان الأمر في الباطن بخلافه في ظاهر كلامهم، ومفاد هذا أنهم يكذبون للمصلحة، وهذا تكذيب للأنبياء، ويؤدي إلى عزل الظواهر الشرعية عن الحقائق، كما قال ابن سينا بأن الظواهر ليست حجة في هذه الأبواب.

لذا قال الغزالي: «فرقٌ بين تعبير الظواهر إلى البواطن، **وبين التنبيه للبواطن من ذكر الظواهر مع تقرير الظواهر، ففارق الباطنية بهذه الدقيقة**»[٢]، فهو لا يعتبر ظواهر النصوص مجرد مجاراة للوهم، وأن الحق الصراح في الباطن دون الظاهر، كما هو مسلك الباطنية أمثال ابن سينا، إنما مسلكه أن يقر الظواهر، ويتنبه للباطن الذي لا ينقض الظاهر، ولا يجعل الظاهر مجرد مجاراة للوهم، ويبين أن هذا فرق دقيق يفرق بين مسلك الصوفية الذين يقرون بظواهر النصوص، وبين الباطنية الذين يضحي ظاهر النص عندهم مجرد مجاراة للأوهام، ولذا لا يقررونه.

فأين هو الجديد الذي جاء بعلوم لا قبل للفقهاء بها؟ بل إن الغزالي باعتراف محمود طه من الصوفية والصالحين، فكأن الجمهوريين هنا سيدّعون بأنهم جاءوا بما لا قبل للصوفية به، ولِمَ الاحتمال؟ وهم الذين قالوا: «إن فكرة الجمهوريين هي **الوارثة للتصوف اليوم**، فهي الطريق النبوي الصرف، بلا زيادة ولا نقصان، **فالمدد اليوم لا يوجد في غيرها أبدًا!! وهي هي الدين العائد**»[٣].

---

(١) تهافت الفلاسفة، أبو حامد الغزالي، تحقيق: سليمان دنيا، دار المعارف بمصر، القاهرة، ص٣٠٩.

(٢) إحياء علوم الدين، محمد الغزالي (أبو حامد)، وبذيله المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار، عبد الرحيم بن الحسين العراقي، دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابي الحلبي، ج١، ص٦٢.

(٣) الفكرة الجمهورية هي الإسلام، الإخوان الجمهوريون، الطبعة الأولى: ١٩٨٢م، ص١١، ١٢.

والسؤال يتكرر: لماذا تكون تلك الأفكار التي يرددها محمود طه دون ذكره لأي مصدر لها، موجودة في كتابات سابقة عليه، وقد تكون قتلت بحثًا كما هو الحال في هذه المسألة؟

وقال محمود طه: «على المؤمنين فرض له أوقات يؤدى فيها، فإذا ارتفعوا بها، وبالعبادات والأعمال جميعًا، وبالقرآن عن مرتبة الإيمان إلى مرتبة **الإحسان حيث يرون الله تبارك وتعالى** فقد أصبحوا أكثر من مؤمنين»[١].

فهو يقول بأن المرء لما يصل إلى مرتبة الإحسان يرى الله، وهذه فكرة مسبوقة وهي مبنية على فهم مغلوط لحديث الإحسان، وقد سبق أن رد عليه أهل العلم بالحديث، وذلك أن الإحسان كما ثبت في الحديث: «**أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه، فإنه يراك**»، قال ابن حجر العسقلاني: «أقدم بعض **غلاة الصوفية على تأويل الحديث بغير علم**، فقال: فيه إشارة إلى مقام المحو والفناء، وتقديره فإن لم تكن ـ أي فإن لم تصر ـ شيئًا وفنيت عن نفسك، حتى كأنك لست بموجود **فإنك حينئذٍ تراه**، وغفل قائل هذا ـ **للجهل بالعربية** ـ عن أنه لو كان المراد ما زعم لكان قوله (تراه) محذوف الألف، لأنه يصير مجزومًا، لكونه على زعمه جواب الشرط، ولم يرد في شيء من طرق هذا الحديث بحذف الألف، ومن ادعى أن إثباتها في الفعل المجزوم على خلاف القياس فلا يصار إليه إذ لا ضرورة هنا، وأيضًا فلو كان ما ادعاه صحيحًا، لكان قوله: (فإنه يراك) ضائعًا لأنه لا ارتباط له بما قبله، ومما يفسد تأويله رواية كهمس فإن لفظها: (**فإنك إن لا تراه فإنه يراك**)، وكذلك في رواية سليمان التيمي، فسلط النفي على الرؤية لا على الكون الذي حمل على ارتكاب التأويل المذكور، وفي رواية أبي فروة (**فإن لم تره فإنه يراك**) ونحوه من حديث أنس وابن عباس، وكل هذا يبطل التأويل المتقدم»[٢].

---

(١) محمود محمد طه رئيس الحزب الجمهوري يقدّم الإسلام، ص٤٥.

(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، المكتبة السلفية، الطبعة الأولى، ج١، ص١٢٠.

فأذواقه ومعارفه التي يزعم بأنها العلم الحقيقي تجعله يأخذ من أخطاء نبه عليها العلماء قبله بقرون، أخطاء بنيت على جهل بقواعد اللغة، ورواية الحديث، «قال أبو عبيد: سمعت الأصمعي يقول: سمعت الخليل بن أحمد يقول: سمعت أيوب السختياني يقول: عامة من تزندق بالعراق لقلة علمهم بالعربية»[١].

ومن كل قُطْرٍ أغنية، كتب محمود طه: «قد بدأنا التخلق بأخلاق الله وبفضل الله وتوفيقه ننتقل في معارج الحكمة»[٢]، و«كمال الإنسان أن يكون الله ولن يكون لأن الله ليس له نهاية»[٣]، «فمن تخلق بأخلاق الله فقد سار من المحدود إلى المطلق»[٤].

هذا يدفع إلى البحث عن مصدر هذه الفكرة، إذ لا يوجد في نصوص الإسلام أي إشارة إلى مثل هذه الدعوة؛ أن يدعو البشر إلى التشبه بالخالق حتى يحصّلوا الحكمة والفضيلة، بل إن القرآن يحكي عن المشركين أنهم قالوا: ﴿لَوْلَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ٧]، فرد عليهم: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ﴾ [الأنعام: ٩]، بمعنى «لو أنزلنا ملكًا مصدقًا لك يا محمد شاهدًا لك عند هؤلاء العادلين بي، الجاحدين آياتك على حقيقة نبوتك، فجعلناه في صورة رجل من بني آدم إذ كانوا لا يطيقون رؤية الملك بصورته التي خلقته بها التبس عليهم أمره، فلم يدروا ملك

(١) كتاب الزينة في الكلمات الإسلامية العربية، أحمد بن حمدان الرازي (أبو حاتم)، عارضه بأصوله وعلق عليه: حسين بن فيض الله الهمداني، مركز الدراسات والبحوث اليمني - صنعاء، الطبعة الأولى: ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م، ص١٢٤.

(٢) رسالة الصلاة، محمود محمد طه، الطبعة الخامسة، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م، أم درمان - السودان، ص١١٨.

(٣) أسئلة وأجوبة، محمود محمد طه، ص١١.

(٤) رسالة الصلاة، محمود محمد طه، ص٧٣.

هو أم إنسي، فلم يوقنوا بأنه ملك ولم يصدقوا به وقالوا هذا ليس ملكًا»[١].

فإذا كان هذا في شأن ملَك من الملائكة فكيف بالله ﷻ؟ وهو الذي يرد عليهم طلبهم ملكًا يتبعونه، فالذي يرد في النصوص أنه أمرتهم باتباع النبي ﷺ، قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب: ٢١]، وذلك أنه بشر مثلهم، بإمكانهم اتباعه، والتخلق بأخلاقه، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾ [الكهف: ١١٠]، فليس في النصوص القرآنية، ولا يصح أي حديث في أمر الناس بالتشبه بالله أو التخلق بأخلاقه، فمن أين جاءت هذه الفكرة لمحمود طه؟

الواقع أن هذه الفكرة يونانية بامتياز، قال «سقراط: لنصبح مثل الله يعني أن نصير تقاة، عادلين، حكماء»[٢]، ويوصي أفلاطون الإنسان حتى يحصّل الفضيلة: «ليكون شبيهًا بالله، بقدر ما يستطيع الإنسان أن يصل إلى الشبه الإلهي»[٣]، وذلك امتداد لموقف الإغريق السابق، حيث «لم يكن الإغريق يرون في الآلهة أسيادًا عليهم، ولا كانوا يرون في أنفسهم عبيدًا لها، كانوا يرونها مجرد انعكاس للنماذج الأكثر نجاحًا من طائفتهم، أي مثالاً وليس نقيضًا لكيانهم الخاص»[٤].

على ما يعتري هذه الدعوة من إشكالات فلسفية، إذ كيف سيحصل التخلق بالله عند محمود طه وهو الذي يقول: «الله مطلق لا يدرك وجوده

(١) تفسير الطبري «جامع البيان عن تأويل آي القرآن»، محمد بن جرير الطبري، تحقيق: عبد الله التركي، هجر للطباعة والنشر، الجيزة، الطبعة الأولى: ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م، ج٩، ص١٦٣.

(٢) أفلاطون المحاورات كاملة، نقلها إلى العربية: شوقي داود تمراز، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٤م، ج٥، ص١٩٢.

(٣) أفلاطون المحاورات كاملة، ج١، ص٤٧٣.

(٤) إنساني مفرط في إنسانيته، فريريش نيتشه، ترجمة: علي مصباح، منشورات الجمل، بيروت-بغداد، الطبعة الأولى: ٢٠١٤م، ج١، ص١٢٢، بتصرف يسير.

التصور فكل ما خطر ببالك فالله بخلاف ذلك... فوجوده مطلق لا يتعلق به الوهم، ولا التصور»[١]، فإن كان مطلقًا لا يدرك التصور وجوده، بأي شيء سيتخلق، وبأي شيء سيتشبه؟ ثم إن المطلق لا يمكن أن يقع عليه الحس، بخلاف المقيد الجزئي المحسوس، وهو عنده لا يحس ولا يناله وهم أو تصور، فهنا تبرز المشكلة التي عبر عنها كانط بقوله «إن شئنا أن نفصله عن هذه السلسلة وألا نضمنه من حيث هو كائن محض معقول في سلسلة الأسباب الطبيعية، فأي جسر يمكن للعقل عندها أن يقيم لكي يصل إليه، مع العلم بأن كل قوانين الانتقال من المسببات إلى الأسباب بل كل تأليف وكل توسيع لمعرفتنا بعامة يطالان التجربة الممكنة فحسب، أعني موضوعات العالم الحسي، ولا يمكن أن يكون لهما دلالة إلا بالنظر إليها»[٢].

بمعنى إذا كانت معرفتنا بالأسباب محصورة في العالم الحسي، فهنا توجد فجوة إذ كان ذلك الكائن المعقول لا ينطبق عليه ما ينطبق على العالم الحسي من معارفنا، فكيف لمحمود طه أن يقفز ويعبر هذه الفجوة، ويقول للناس انطلقوا من عالمكم المحسوس، وتخلقوا بالمعقول المحض؟ فكيف إن كان نفسه يقول بأنهم لا يتصورونه، وأن كل ما خطر ببالهم فهو على خلافه؟ إنها فجوة أكبر مما عبّر عنه كانط.

ومع ذلك فما هي هذه الأفكار التي بنى حولها محمود طه سياجًا من الدعاية بأنه تلقاها عن الله وبالتذوق، وأن غيره لم يصل إلى معرفته لأنه قرأ ولم يذق بخلافه، ثم يكون كلامه مسبوقًا بقرون مديدة، من الإغريق وفلاسفة اليونان، كفكرة التشبه الإله لتحصيل الفضيلة والحكمة، والتي لا تجد لها أي سند في النصوص الشرعية؟

---

(١) أسئلة وأجوبة، محمود محمد طه، ص١٦.

(٢) نقد العقل المحض، عمانوئيل كانط، ترجمة موسى وهبة، مركز الإنماء القومي، رأس بيروت ـ لبنان، ص٣٠٩.

إن فكرة التشبه بالإله لتطرح تصوّرًا مرعبًا لما يمكن أن يذكر من مسوغات في حال اختراق المعايير الأخلاقية البشرية، فكما هو معلوم بأن قومًا قالوا بأن الله محبّة، كانوا قد أعلنوها حربًا صليبية على خصومهم يومًا ما، فالصورة هنا قاتمة متى تصورنا ماذا يمكن أن يقال في حال حصل خلاف مع قوم يرون أن من حقهم التشبه بالله، وأن كمالهم البشري هو أن يكونوا الله، فالإله لا ينقص من حكمته ولا عدله أنه خالق الزلازل والبراكين، ومنزل العذاب على القرى التي لم تؤمن به.

ولا يعكر على هذا أن محمود طه عُرف عنه أنه مسالم، إذ لم يكن العالَم بحاجة إلى حرب عالمية حتى يعلم ما في كتاب (كفاحي) لهتلر من أفكار، فهنا يجري الحديث عن معايير هؤلاء القوم الأخلاقية وهم يرون أن فضيلتهم بأن يكونوا آلهة، حتما إنها تختلف عن معايير غيرهم من البشر الذين يرون فضيلتهم ستبقى في حدودهم البشرية، وفي إطار النماذج التي هي بشرٌ مثلنا، مهما علت تلك الفضيلة، لذا يصعب تسويغ الناس لأخلاقياتٍ يمكنهم تفهمها حين تتم نسبتها إلى الله، ففرق بين قولك: فلان قتل فلانًا، وبين توفاه الله، تخيل قليلًا لو أن قاتلًا لإنسان بريء ها هنا تشبه بالله! لقد كانت فكرة أفلاطون عن فضيلة التشبه بالإله متسقة مع موقفه من المخالفين له خصوصًا إن كانوا يميلون إلى المحسوس، المخالف لصرحه المثالي، فـ «كان أفلاطون يحس بالرعب من ديمقريطس وقال: إن من الواجب إحراق كل كتبه، وسبب هذا أن أفلاطون لم يكن يحب العلم»[1].

وكانت أطروحة أفلاطون في السياسة قد شكلت أسسًا نظرية للأرستقراطية، وأعطت الحاكم صلاحيات مطلقة يسوس فيها الناس حسبما

---

(١) محاورات برتراند راسل، ترجمة: محمد عبد الله الشفقي، من مختارات البرنامج الثقافي لإذاعة الجمهورية العربية المتحدة، ص١٠.

يراه الأصلح، فهو الذي يتشبه بالله! بما أنه يرى أن الفلاسفة هم الذين يجب أن يحكموا، ولذا كان على كارل بوبر أن يتعرض لأطروحة أفلاطون بالنقد وهو يحاول أن يتجنب أي صرح نظري يسوّغ الممارسات الشمولية لنظام الحكم[١].

وهذا لا يعني أنني أتهم محمود طه بأنه قارئ جيد يعرف ما الذي قاله أفلاطون لا قدّر الله! إنما كان البيان لأصل الفكرة التي لا يوجد ما يثبت أن محمود كان يعرف شيئًا عن أصولها إنما سمع غيره يقول شيئًا فردده، ثم أوهم أتباعه الذين رأوه أعلى منهم ثقافة ومعرفة بأن ما قاله كان بتعليم إلهي، ويظهر أنه كان مطمئنًا لهؤلاء الأتباع إلى الحد الذي جعله يقول مثلًا: «الأمل معقود باطراد تقوية الفكرة الحديثة، حيث الحق هو القوة لا العكس»[٢]، مع تقليله لدعواه هذه المرة بأن هذه الفكرة حديثة، ليست لأول مرة في التاريخ.

فعلى رغم أن هذه الفكرة واردة في «كتاب السياسة لأفلاطون المعروف خطأ باسم الجمهورية»[٣] حيث جرى الحوار فيها، ليظهر سقراط أن القوة ليست هي الحق والعدل[٤]، وعلى رغم بديهيتها التي كانت حاضرة في قوانين حمورابي من القرن الثامن عشر قبل الميلاد، حيث جاء فيها: «أن أقيم العدل في الأرض، وأن أقتلع جذور الشر والأشرار حتى لا يضطهد القوي الضعيف»[٥]، فإن محمود

---

(١) انظر: بحثًا عن عالم أفضل، كارل بوبر، ترجمة: أحمد مستجير، مهرجان القراءة للجميع ٩٩، ص ص٢٦٤.

(٢) أسس دستور السودان، محمود محمد طه، ام درمان، الطبعة الثانية، رمضان: ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م، ص١٦.

(٣) دراسات ونصوص في الفلسفة والعلوم عند العرب، عبد الرحمن بدوي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى: ١٩٨١م، ص٨.

(٤) انظر: جمهورية أفلاطون، دراسة وترجمة: فؤاد زكريا، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ٢٠٠٤م، ص١٩٣.

(٥) شريعة حمورابي وأصل التشريع في الشرق القديم، مجموعة مؤلفين، ترجمة: أسامة سراس، دار علاء الدين، دمشق، الطبعة الثانية: ١٩٩٣م، ص١٧.

طه كان يقول لأتباعه بكل سهولة بأن هذه الفكرة حديثة، فكيف لرجل يزعم أنه يؤمن بالأنبياء أن يقول هذا؟ حتى مع افتراض جهله التام بالتاريخ والفلسفة، فهل كان هناك نبي من الأنبياء يقول إن القوة هي الحق، لا أن الحق هو القوة، فعلى هذا كان على الأنبياء أن يتبعوا أكثر من في الأرض من مخالفيهم، وأن ينضموا إلى المعسكر الأقوى حتى ولو خالف اعتقادهم، فهل يقول بهذا من يؤمن بالأنبياء؟

لم يكن لمعارف محمود طه اللدنية أن تتوقف عن كونها مسبوقة، وكان قد اطلع ـ كما تشهد الاقتباسات الموزعة في كتاباته ـ على العديد من النشرات والكتابات الماركسية، ووصف الماركسية بأنها «**أكثر الفلسفات المعروفة خطأ، وأقلها إنسانية**»[١]، وعلى رغم هذا فقد أعجب بجانب منها، فقال: «من حسنات ماركس **الفكرة التطورية**»[٢]، فإن «في ميزان حسنات الماركسية **الفكرة التطورية**، **كون الوجود في حركة مستمرة**، **لا يستقر إطلاقًا**، وذا ينطبق علينا كمجتمع، وينطبق علينا كأفراد، ذي حقيقة **ناصعة جدًا**، **وجيدة جدًا**، **حقيقة التطور**، **والتحول المستمر**»[٣].

ومع ذلك لم يكن ليقول إنه اقتبس في أفكاره عن الماركسية، بل سيقول: إن ماركس على باطل، وهيجل أقرب منه إلى الصحة ولكنه ليس صحيحًا هو الآخر، لماذا؟ لأن الفلسفة تقوم على العقل، والتفكير، الفلسفة بنت العقل، وبعد كلام طويل يصل إلى أن الفلسفة لن تفيد في كشف الحقائق كما هي، إنما الذي يفيد هو التصوف[٤]، فيقال له: لا إشكال فلتأتِ بأفكارك من أي شيء، لكن لا ينبغي أن تردد كلام غيرك دون إحالة!

---

(١) أسئلة وأجوبة، محمود محمد طه، ص٤٥.

(٢) الماركسية في الميزان، محمود محمد طه، الطبعة الأولى: ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م، ص١٥.

(٣) الماركسية في الميزان، محمود محمد طه، ص١٦.

(٤) انظر: الماركسية في الميزان، محمود محمد طه، ص٣١.

قال محمود طه: «التاريخ يعيد نفسه وهذا حق، ولكنه ليس كل الحق، ذلك بأن التاريخ لا يعيد نفسه بصورة واحدة، وإنما يعيدها بصورة تشبه من بعض الوجوه، وتختلف من بعضها»[(١)]، وذلك بنظره لأن الزمان والمكان «لولبيان، يسيران من قاعدة إلى قمة، تشبه فيهما نهاية الحلقة بدايتها، ولا تشبهها»[(٢)].

فهذا الوصف لحركة التاريخ باللولبية، هل هو مما جاءت به معرفة محمود طه المزعومة عن الله كفاحًا؟ أم هو مجرد ترديد للكتب التي طالعها مما يلخص مفهوم الحركة الديالكتيكية من الكتابات الماركسية التي أعجب بنظرتها عن التطور؟ لقد كان ما يقوله مجرد ترديد لما في تلك الكتب الماركسية، فلا يظهر أن محمود طه طالع شيئًا لهيجل.

لقد وصف إنجلز حركة التطور «من خلال التناقض أو نفي النفي: حلزونية التطور»[(٣)]، وهذا الوصف التبسيطي للديالكتيك تردد في كتابات لينين من بعده بشكل كبير، فيقول: «معرفة الإنسان ليست خطًا مستقيمًا، بل خطًا منحنيًا، يقترب اقترابًا لا حد له من سلسلة دوائر، من خط حلزوني»[(٤)]، لقد كان مثال محمود طه عن التاريخ بأنه يعيد نفسه فيه بعض الحق، وأنه يشبهه ولا يشبهه مجرد إعادة صياغة لما هو في الكتابات الماركسية عن الديالكتيك، وكذلك كلامه عن الأفكار، يقول لينين: «التطور: تطور يبدو كأنه يعود ويمر بمراحل مقطوعة سابقًا، ولكن على نحو آخر وعلى قاعدة أرقى: نفي النفي،

---

(١) الرسالة الثانية من الإسلام، محمود محمد طه، ص١٨.

(٢) الرسالة الثانية من الإسلام، محمود محمد طه، ص١٩.

(٣) ديالكتيك الطبيعة، فريدريك إنكلس، نقله إلى العربية: توفيق سلوم، دار الفارابي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى: ١٩٨٨م، ص١٩.

(٤) دفاتر عن الديالكتيك، لينين، ترجمة: إلياس مرقص، دار الحقيقة، بيروت ـ لبنان، ١٩٨٨م، ج١، ص٢٣٤.

تطور على نحو لولبي، إذا صح التعبير، لا على نحو خط مستقيم»[١].

كان محمود طه يتحدث عن الارتقاء على قاعدة نفي النفي الهيجلية بصيغة السالك والمريد، فكان يشكّل كلماته بما يفيد بأن السالك سوف يسمو فوق النقطة الأولى بالمضمون الديالكتيكي نفسه، فقال: «فكما أن الزمان والمكان لولبيان، فكذلك الأفكار، فإنها لولبية، يسير الصاعد في مراقيها في طريق لولبي، يرتفع في المراقي كلما يدور على نفسه، حتى إذا تمت دورة على نقطة البداية ارتفع السالك سمتًا فوقها، وجاءت نهاية تلك الدورة على صورة تشبه البداية، ولا تشبهها»[٢]

هذه سرقة تامة للفكرة، على أن الماركسية لم تنسب ابتداع الديالكتيك إلى نفسها، بل نسبت الفكرة إلى صاحبها الأساسي هيجل، وإنْ أوضح ماركس بأنه انطلق من قاعدة مادية[٣]، لا مثالية كما فعل هيجل، ولكن تبقى قوانين الحركة ديالكتيكية، يقول هيجل: «الحركة الشمولية من حيث هي عينيّة، هي سلسلة من تشكيلات الروح، ولا يجوز لهذه السلسلة أن تتمثل في خط مستقيم، بل كدائرة، كعودة إلى الذات، ويشمل محيط هذه الدائرة على كمية كبيرة من الدوائر، فعلى الدوام يكون التطور حركة تمر في جملة تطورات»[٤].

يتجاهل محمود طه كل هذا، ليصور أن ما قاله لا علاقة له بهيجل، ولا

---

(١) المختارات في ١٠ مجلدات، لينين، دار التقدم، موسكو، ١٩٧٦م، ج٥، ص٢٣٧، ٢٣٨.

(٢) الرسالة الثانية من الإسلام، محمود محمد طه، ص١٢٩.

(٣) انظر: رأس المال؛ المجلد الأول: عملية إنتاج رأس المال، كارل ماركس، ترجمة: فالح عبد الجبار، دار الفارابي، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى: ٢٠١٣م، ص٣٨.

(٤) محاضرات في تاريخ الفلسفة، هيجل، ترجمة: خليل أحمد خليل، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى: ١٤٠٦هـ/١٩٨٦، ص٩٩.

ماركس، لم ينظر إلى ما استنسخه على أنه جهدٌ بشري يستحق أن ينسب لأصحابه، مهما اختلف أو اتفق معه، بل إن شهرته تمنع سرقته على أي كان إلا متى حسب أنه يخاطب أقوامًا في عالم آخر، لقد تجاوز محمود طه شهرة الفلسفة الهيجلية، ومن بعدها الماركسية، ليوزع ما أخذه عنها في سطوره، كأنها من بنات أفكاره، ودقائق تجلياته، فمرة يقول: «في القرآن الوجود لولبي»[١]، وأخرى: «الإسلام سلّم لولبي»[٢]، «الإنسان يسير في سلّم لولبي»[٣]، «العابد المفكّر يسير في طريق لولبي يترقى»[٤]، « الزمان هو الأبد، في نشره، وتفاصيله، بين بداية، ونهاية، تسير في طريق لولبي»[٥]، «الأمم المتقدمة تسير في طريق لولبي»[٦]!

لم يتوقف الجمهوريون عن الاستعارة من الماركسية فقالوا: «وحدة جغرافية البناء التحتي، فكرية وشعورية البناء الفوقي»[٧]، وقد قال زعيمهم محمود طه: «العلم يمثل البناء التحتي، في حين أن الدين يمثل البناء الفوقي، وبين البناء التحتي والبناء الفوقي ارتباط ووحدة إذ هما كلاهما يكونان العلم»[٨].

إنها محاولة للحديث عن الديالكتيك بلهجة ماركسية، مع إفراغها من محتواها، واستبدالها بأي إنشاء مصطنع، فقد قال ماركس: «مجموع علاقات الإنتاج يؤلف البناء الاقتصادي للمجتمع أي الأساس الواقعي الذي يقوم عليه

---

(١) القرآن ومصطفى محمود والفهم العصري، محمود محمد طه، ص١١٢.

(٢) الرسالة الثانية من الإسلام، محمود محمد طه، ص٢٠٣.

(٣) الدعوة الإسلامية الجديدة، محمود محمد طه، الطبعة الأولى: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م، ص٣١.

(٤) الدعوة الإسلامية الجديدة، محمود محمد طه، ص٣١.

(٥) الكتاب الأول من سلسلة رسائل ومقالات، الإله-تعقيب على الأستاذ الجليل عباس محمود العقاد، على موقع: https://www.alfikra.org

(٦) أسئلة وأجوبة، محمود محمد طه، ص٦٤، ٦٥.

(٧) السفر الأول، محمود محمد طه، ص١٢.

(٨) الدين والتنمية الاجتماعية، محمود محمد طه، الطبعة الأولى: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م، ص٨.

بناء فوقي؛ حقوقي وسياسي»[١]، ويعيد إنجلس هذا المضمون بقوله: «التركيب الاقتصادي للمجتمع في كل عصر محدد يكون ذلك الأساس الواقعي، الذي يعلل في نهاية المطاف كل البناء الفوقي المتكون من المؤسسات القانونية والسياسية وكذلك الآراء الدينية والفلسفية وغيرها لكل فترة تاريخية محددة»[٢].

هذا على مفهوم المادية للديالكتيك، فلما كان ماركس ماديًا، وكان الاقتصاد حجر الزاوية في التأثير بنظره، كان الاقتصاد هو البناء التحتي للبناء الفوقي، أما الجمهوريون وزعيمهم محمود طه فكانوا يقولون أي شيء، ما معنى أن يقول محمود طه: إن العلم هو البناء التحتي والدين فوقي، ليصل بالوحدة بينهما إلى العلم! الذي سبق أن قال هو بناء تحتي؟ هو يملأ الفراغ الذي حذفه من الكتابات الماركسية التي اقتات عليها فحسب، لقد شكّلت كتابات غيره البناء التحتي لاصطلاحاته وباقي مواضيع الإنشاء التي سطرها.

لقد بقي يكرر كلام غيره، على أنه فوائده التي نالها بإشراق المعارف الإلهية على قلبه، ولم يكن لهذا التصنع أن ينتهي قريبًا، سيقول محمود طه: «ظهرت الوثنيات المتقدمة واطرد بها التقدم حتى ظهرت في صور ديانات التوحيد الكتابية»[٣]، وهذا مسبوق من العديد من الفلاسفة والباحثين، على سبيل المثال يتحدث داروين عما يماثل هذا فيقول: «الملكات العالية قادت الإنسان في أول الأمر إلى الإيمان بالعوامل الروحية غير المرئية، ثم إلى التقديس الأعمى وتعدد المعبودات وفي النهاية إلى الإيمان بإله واحد»[٤]، هذه الفكرة شاعت بشكل كبير، وتعاملت مع التوحيد على أنه تطوير للديانات السابقة، على أنه خاضع

(١) مختارات ماركس-إنجلس، دار التقدم، موسكو، ج٢، ص٨، باختصار يسير.

(٢) ضد دوهرنج، إنجلس، ترجمة: محمد الجندي وخيري الضامن، دار التقدم، موسكو - الاتحاد السوفيتي، ١٩٨٤م، ص٣٢.

(٣) الرسالة الثانية من الإسلام، محمود محمد طه، ص١١٩.

(٤) نشأة الإنسان، تشارلس داروين، ترجمة وتقديم: مجدي محمود المليجي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٥م، ج١، ص٢٥٢، ٢٥٣.

للتدرج التاريخي، لا أنه معرفة حقيقية لإله واحد معيّن، بل على أن الاعتقاد بالتوحيد ما كان إلا نتيجة لتطوير بعض الخرافات السابقة عليه، وهو محكوم بالتاريخ وتدرجه، وهذا يدفع باتجاه تصوير التوحيد على أنه فكرة بشرية ابتدعها البشر في مرحلة من تاريخهم، كما فعلوا مع تعدد الآلهة في حين آخر.

ومن قبل «صحب الحلّاج عمرو بن عثمان، وسرق [الحلّاج] منه كتبًا فيها شيء من علم التصوّف، فدعا عليه عمرو»[1]، كان الأمر يمتد إلى الأفكار، ليستعمل تلك الأفكار لزيادة نفوذه بطريقته في عرض دعوته، لقد «**كان يدعو كل قوم إلى شيء، حسَب ما يستبلهُ طائفةً طائفةً**»[2]، وكان يحرص على الوصول إلى فكرة قد توصله إلى مركز في التأثير ذي ثقل، ووجد واحدة قد تغنيه عن غيرها، فقد كانت الشيعة الإمامية تعتقد بأن إمامها المهدي قد غاب غيبة صغرى، وخلفه سفراء، وكان هؤلاء السفراء قد ادعوا بأنهم يتواصلون مع المهدي، وأنهم ينقلون رسائله إلى الشيعة، مات الأول فخلفه الثاني، حتى انتهى الأمر إلى أربعة أقرت الإمامية لهم بأنهم سفراء عن المهدي، وتكاثر بعدهم المدَّعون للسفارة عن المهدي، فكذبهم أتباع المذهب الإمامي، وقالوا هو في غيبة كبرى بعد السفراء الأربعة، فالتقط الحسين بن منصور الحلّاج الفكرة، وادعى لنفسه السفارة عن المهدي، أراد أن يتحكم بالقواعد الشعبية الشيعية، بادعائه الوكالة عن المهدي كما سبق أن رأى غيره يفعلون، لكن لم يتبعه الشيعة، وكان ادعاؤه للسفارة وتكذيبهم إياه يزيد من تسارع مضيه إلى مصيره المحتوم[3].

---

(١) سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، مؤسسة الرسالة، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى: ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ج١٤، ص٣١٦.

(٢) سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج١٤، ص٣٢٣.

(٣) انظر: تاريخ الغيبة الصغرى، محمد الصدر، دار التعارف للمطبوعات، بيروت ـ لبنان، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، ص٥٢٩-٥٣٤.

أهلية محمود طه في العلوم الإسلامية

يقول أبو حامد الغزالي: «إن ثلاثة أنفس لو ادعوا أنهم يحفظون القرآن فقلت ما برهانكم؟

فقال أحدهم: برهاني أنه نص عليّ الكسائي أستاذ المقرئين، إذ نص على أستاذي وأستاذي نصّ عليّ، فكأن الكسائي نص عليّ.

وقال الثاني: برهاني أني أقلب هذه العصا حية، وقلبَ العصا حيّة.

وقال الثالث: برهاني أني أقرأ القرآن بين يديك من غير مصحف وقرأ، فليت شعري أي هذه البراهين أوضح؟»[1].

«الذي قرأ القرآن، فهو غاية البرهان إذ لا يخالجني فيه ريب.

أما نص أستاذه عليه، ونص الكسائي على أستاذه، فيُتصوَّر أن تقع فيه أغاليط لا سيما عند طول الأسفار.

وأما قلب العصا حيّة، فلعله فعل ذلك بحيلة وتلبيس، وإن لم يكن بتلبيس فغايته أنه فعل عجيب، ومن أين يلزم أن من قدر على فعل عجيب ينبغي أن يكون حافظًا للقرآن»[2].

وهذا ليس خاصًا بحفظ القرآن، بل ينسحب على غير ذلك من ادعاء العلوم والمعارف، «كما إذا تعلّمت الحساب وعلمته من أستاذ، فإنه إذا علمّك

---

(١) القسطاس المستقيم، أبو حامد الغزالي، المطبعة العلمية، دمشق، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م، ص٥٧، ٥٨.

(٢) القسطاس المستقيم، أبو حامد الغزالي، ص٥٨.

الحساب حصل لك علم بالحساب، وعلم آخر ضروري بأن أستاذك محاسب، لا بقلب العصا حية»[١].

كلام الغزالي هذا درس تناقله العقلاء وحفظه التاريخ، ومن فحواه قال الفيلسوف الروسي جورج بليخانوف بعده بقرون: «قال عالم عربي ذات مرة لتلاميذه: لو قال لكم أحد إن قوانين الرياضيات خاطئة، ثم قام لكي يثبت ذلك بتحويل العصا إلى ثعبان، فلا تعتبروا مثل هذا البرهان مقنعًا، تحويل العصا إلى ثعبان خارقة، ولكن لا ينتج عنها أن قوانين الرياضيات خاطئة»[٢].

إن محمود طه ادعى أهليته للحديث في أصول الدين، وغير أصول الدين، وزعم أن معرفته تختلف عن غيره بحيث إنها لم تؤخذ قراءة، بل بطريقته الخارقة عن الله، كيفما كان، فهذه الدعوى لا ينتج عنها أنه عالم بالإسلام، فما هو أوضح برهان على إثبات معرفته بالإسلام؟ كما سبق: من زعم حفظ القرآن يقال له اقرأ دون كتاب، بقطع النظر عن كل الدعاوى الخارقة التي يزعمها، حتى ولو قلب العصا إلى حية، بالمقارنة بين ما ادعاه وبين القرآن الذي بين أيدينا، وقد ظهر مما سبق حال كثير من المعارف التي زعمها محمود طه، فكانت موجودة قبله، لا حاجة لتفسير قوله بها إلى فرضيات زائدة كادعاء أنه أخذها عن الله مباشرة.

ويقال هنا: ما أهلية محمد طه في العلوم الإسلامية؟

لقد تبجح محمود طه بقوله: «محمد بن عبد الله بن عبد المطلب النبي الأمي، المبعوث من قريش في الأميين منذ القرن السابع، والذي ختم الله به النبوة، وأنزل عليه القرآن... لا يعرفه المسلمون وإن ظنوا جهلاً أنهم

(١) القسطاس المستقيم، أبو حامد الغزالي، ص٥٨، باختصار.

(٢) في تطور النظرة الواحدية إلى التاريخ، بليخانوف، دار التقدم - موسكو، الترجمة إلى العربية ١٩٨١م، طبع في الاتحاد السوفييتي، ص ٣٢٩-٣٣٠، باختصار.

يعرفونه»[١]، فزعم جهل المسلمين بنبيهم، وبنفسيته الأستاذية المعتادة قال: «إننا نوصي بإدمان الاطلاع على كتب الأحاديث، وكتب السيرة، ونخص بالذكر صحيح البخاري»[٢].

فما مقدار اطلاع محمود طه على كتب الحديث وهو الذي يوصي غيره بالاطلاع عليها؟ ما معرفته بالحديث وهو عماد المعرفة بالنبي محمد ﷺ، في أقواله وأفعاله، وسننه وأيامه؟

قال في نص لافت: «**(ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان، بل بكل كلمة من الله) كما يقول المسيح، أو (الدنيا مطية الآخرة) كما يقول محمد**»[٣].

فما نسبه إلى المسيح موجود في إنجيل متى، الإصحاح الرابع[٤]، ولكن ما نسبه إلى النبي محمد ﷺ ليس بحديث، وهذا يدفع إلى السؤال عن معرفته بالنبي محمد، وهو الذي نفى علم المسلمين به، وبإطلالة سريعة على ما كان محمود طه ينسبه إلى النبي ﷺ، يظهر حاله، لقد قال: «نحن بحقٍّ نيام، **ألم يقل المعصوم: الناس نيام، فإذا ماتوا انتبهوا؟! بلى!!**»[٥]، فهذا الذي ينسبه إلى النبي ﷺ بمثل هذه الثقة على أي شيء استند فيه؟ فما ذكره لا أصل له[٦]، إنما روي من قول سفيان الثوري[٧].

---

(١) محمود محمد طه يدعو إلى طريق محمد، ص٥.

(٢) محمود محمد طه يدعو إلى طريق محمد، ص٢١.

(٣) مشكلة الشرق الأوسط، محمود محمد طه، الفصل السابع-الحل على مرحلتين-الحل العاجل-الحل الآجل، على موقع: https://www.alfikra.org

(٤) الكتاب المقدس، نداء الرجاء ـ شتوتغارت ـ ألمانيا، ١٩٩١م، متى ٤:٤.

(٥) رسالة الصلاة، محمود محمد طه، ص٧.

(٦) انظر: طبقات الشافعية الكبرى، عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي، تحقيق: محمود الطناحي، عبد الفتاح الحلو، مطبعة عيسى البابي، ١٣٨٣هـ/١٩٦٤م، ج٦، ص٣٥٧، حيث ذكره في أحاديث (الأحياء) التي لم يجد لها إسنادًا.

(٧) انظر: حلية الأولياء، ج٧، ص٥٢.

وقال: «المعصوم حين أمرنا: موتوا قبل أن تموتوا»[١]، فهذا غير ثابت وهو من كلام الصوفية[٢]، لا المعصوم.

قال: «قال المعصوم: قولي شريعة، وعملي طريقة، وحالي حقيقة»[٣]، فهذا لا أصل له.

وقال: «قال المعصوم: تخلّقوا بأخلاق الله، إن ربي على صراط مستقيم»[٤]، على أن «هذا اللفظ لا يعرف عن النبي ﷺ في شيء من كتب الحديث»[٥].

وقال: «قال المعصوم: الدين المعاملة»[٦]، على أنه «لا أصل لذلك»[٧].

وقال: «وقد قال: نحن معاشر الأنبياء أمرنا أن نخاطب الناس على قدر عقولهم»[٨]، «فهذا لم يروه أحد من علماء المسلمين الذين يعتمد عليهم في الرواية»[٩].

---

(١) رسالة الصلاة، محمود محمد طه، ص٧.

(٢) انظر: الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة، عليّ القاري، حققه: محمد بن لطفي الصباغ، المكتب الإسلامي، بيروت-دمشق، الطبعة الثانية: ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ص٣٤٨.

(٣) رسالة الصلاة، محمود محمد طه، ص٩٦، وكتاب: محمود محمد طه يدعو إلى طريق محمد، الطبعة الثالثة: ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م، ص٤.

(٤) رسالة الصلاة، محمود محمد طه، ص١١٨.

(٥) بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، أحمد بن تيمية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤٢٦هـ، ج٦، ص٥١٨.

(٦) رسالة الصلاة، محمود محمد طه، ص٦٩.

(٧) سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى: ١٤١٧هـ-١٩٩٦م، ج٥، ص١١.

(٨) محمود محمد طه يدعو إلى طريق محمد، ص٨.

(٩) مجموع فتاوى أحمد بن تيمية، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن قاسم، وساعده ابنه محمد، طبع بأمر: فهد بن عبد العزيز آل سعود، طبع في المدينة في مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، تحت إشراف: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م، ج١٨، ص٣٣٨.

وقال: «الذات المحمدية أول قابل لتجليات الذات الإلهية، وهي المشار إليها في حديث جابر بن عبد الله الأنصاري، قال: قلت: يا رسول الله، بأبي أنت وأمي، أخبرني عن أول شيء خلقه الله، قال: أول ما خلق نور نبيك يا جابر»[١]، فهذا حديثٌ «مُنكَر موضوع لا أصل له في شيء من كتب السنة»[٢].

وقال: «ألم يقل المعصوم في أمر تسديده: كنت نبيًا وآدم بين الماء والطين»[٣]، فيقال: نعم لم يقل هذا، فهذا الحديث «مما لا أصل له، لا من نقل ولا من عقل، فإن أحدًا من المحدّثين لم يذكره، ومعناه باطل، فإن آدم عليه السلام لم يكن بين الماء والطين قط، فإن الطين ماء وتراب»[٤].

وقال: «قوله تبارك وتعالى: كنت كنزًا مخفيًا، فأردت أن أُعرف فخلقت الخلق، فتعرفت إليهم فبي عرفوني»[٥]، فهذا ليس له إسناد صحيح ولا ضعيف[٦].

وقال: «قول المعصوم: من عمل بما علم، أورثه الله علم ما لم يعلم»[٧]، ليس بحديث، وإسناده إلى النبي ﷺ موضوع[٨].

وقال: «قال المعصوم: من عرف نفسه عرف رَبّه»[٩]، وهو موضوع، وقد قيل هو من كلام يحيى بن معاذ الرازي[١٠].

---

(١) محمود محمد طه يدعو إلى طريق محمد، ص١٤.
(٢) مرشد الحائر لبيان وضع حديث جابر، عبد الله بن محمد بن الصديق الغماري، ص١١.
(٣) القرآن ومصطفى محمود والفهم العصري، محمود محمد طه، ص١٦٢.
(٤) الاستغاثة في الرد على البكري، أحمد بن تيمية، تحقيق: عبد الله بن دجين السهلي، مكتبة دار المنهاج، الرياض، الطبعة الأولى: ١٤٢٦هـ، ص٩٩.
(٥) القرآن ومصطفى محمود والفهم العصري، محمود محمد طه، ص٣٩.
(٦) انظر: مجموع فتاوى أحمد بن تيمية، ج١٨، ص١٢٢.
(٧) القرآن ومصطفى محمود والفهم العصري، محمود محمد طه، ص٣٩.
(٨) انظر: حلية الأولياء، ج١٠، ص١٥.
(٩) القرآن ومصطفى محمود والفهم العصري، محمود محمد طه، ص٦٠.
(١٠) انظر: الحاوي للفتاوى، عبد الرحمن السيوطي، ضبطه وصححه: عبد اللطيف حسن عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى: ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، ص٢٢٧.

وقال: «قال المعصوم: إن الله احتجب عن البصائر كما احتجب عن الأبصار، وإن الملأ الأعلى ليطلبونه كما تطلبونه»[١]، وهذا لا أصل له، وقد وهم الشعراني في قوله بأن الحكيم الترمذي رواه في (نوادر الأصول)[٢]، فليس فيه هذا الحديث.

وقال: «النبي... قال: لي ساعة مع الله لا يسعني فيها ملك مقرّب ولا نبي مرسل»[٣]، على أن هذا «من كلام بعض الصوفية، وليس بحديث»[٤].

وقال: «ولقد قال المعصوم: تفكر ساعة أفضل من عبادة سبعين سنة»[٥]، وهذا «موضوع كما قال الحفّاظ، وقال ابن العربي المالكي في السراج: ليس في التفكر حديث صحيح عن النبي ﷺ ولا عن العشرة الأبرار، فجميع ما أورده المصنفون باطل»[٦].

وقال: «قول المعصوم: لو كانت الدنيا دمًا عبيطًا، ما أكل المؤمن منها إلا حلالاً»[٧]، فهذا «لا يُعرَف له إسناد»[٨].

---

(١) القرآن ومصطفى محمود والفهم العصري، محمود محمد طه، ص١٥٦، ١٥٧.

(٢) انظر: القواعد الكشفية الموضحة لمعاني الصفات الإلهية، عبد الوهاب الشعراني، تحقيق: مهدي أسعد عرار، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى: ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م، ص١٣٥، ١٣٦.

(٣) محمود محمد طه يدعو إلى طريق محمد، ص٩، ١٠.

(٤) المصنوع في معرفة الحديث الموضوع، عليّ القاري، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدّة، مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب، الطبعة الخامسة، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، ص١٥١.

(٥) الثورة الثقافية تعلموا كيف تصلون، محمود محمد طه، ص٣٦.

(٦) المُغير على الأحاديث الموضوعة في الجامع الصغير، أحمد بن عبد الله بن الصّديق الغماري، دار الرائد العربي، بيروت ـ لبنان، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، ص١٠١.

(٧) الثورة الثقافية تعلموا كيف تصلون، محمود محمد طه، ص٧٩.

(٨) المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، محمد بن عبد الرحمن السخاوي، صححه وعلّق حواشيه: عبد الله محمد الصديق، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى: ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، ص٣٤٦.

وقال: «المعصوم قد قال: إن من العلم كهيئة المكنون، لا يعلمه إلا أهل العلم بالله، فإذا تحدثوا به لا ينكره إلا أهل الغرة بالله»[١]، على أن هذا «الحديث ليس إسناده ثابتًا باتفاق أهل المعرفة، ولم يرو في أمهات كتب الحديث المعتمدة»[٢].

وقال: «قال المعصوم لأصحابه عقب عودتهم من غزوة من غزوات الإسلام: رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر»[٣]، «لا أصل له، ولم يروه أحد من أهل المعرفة بأقوال النبي ﷺ وأفعاله»[٤]، «وهو مشهور على الألسنة وهو من كلام إبراهيم بن أبي عبلة»[٥].

فهذا حال من يوصي غيره بالاطلاع على كتب الحديث، وليس مجرد اطلاع بل إدمانه، ويخص صحيح البخاري بالنصيحة، على أنه كان مجرد مردد لما يسمعه من هنا وهناك ولم يكن له معرفة بالحديث، ولا اطلاع على كتبه، وكتبُ محمود طه والجمهوريين بصفة عامة هي من مظان الأحاديث المكذوبة التي لا زمام لها ولا خطام، وكيف لا تكون كذلك ومحمود طه يقول: «أخشى ما أخشاه على النشء أن يظنوا أن هذا الدين دين قراءة، وتحصيل في المعاهد»[٦]؟ فما النتيجة المتوقعة سوى الأميّة الدينية؟

ومع ذلك فقد كان اطلاعه على التوراة والإنجيل أحسنَ حالًا، لذا لن يشكك نصراني بكلامه الذي ينسبه إلى المسيح بخلاف حال المسلم حين يراه

---

(١) الثورة الثقافية تعلموا كيف تصلون، محمود محمد طه، ص٩٥.
(٢) مجموع فتاوى أحمد بن تيمية، ج١٣، ص٢٦٠.
(٣) القرآن ومصطفى محمود والفهم العصري، محمود محمد طه، ص٢١٣.
(٤) مجموع فتاوى أحمد بن تيمية، ج١١، ص١٩٧.
(٥) الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: محمد بن لطفي الصباغ، عمادة شؤون المكتبات ـ جامعة الملك سعود، الرياض، ص١٢٥.
(٦) القرآن ومصطفى محمود والفهم العصري، محمود محمد طه، ص٢١٢.

ينسب كلامًا إلى النبي ﷺ، والأمثلة على ذلك كثيرة من كتبه، ومنها: «قال السيد المسيح: ليس ما يدخل الفم ينجس، بل ما يخرج من الفم هذا ينجس الإنسان»(١)، وهذا في إنجيل [متى ١٥: ١١].

وقال: «وردت كلمة عن المسيح يقول فيها: من أخذ بالسيف بالسيف يؤخذ»(٢)، هو في [متى ٢٦: ٥٢]، وقال: «وصية المسيح: من ضربك على خد الأيمن فأدر له الأيسر، كذلك»(٣)، هو في [لوقا ٦: ٢٩]، وقال: «وجاء في وصيته: أحبوا أعداءكم!! باركوا لاعنيكم!! وصلوا من أجل الذين يسيئون إليكم!! ويطردونكم!!»(٤)، هو في [متى ٥: ٤٤] وعلامات التعجب من محمود طه.

وقال: «المسيح قد قال لتلاميذه: لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء.. .ما جئت لأنقض بل لأكمل»(٥)، وهو في [متى ٥: ١٧]، وقال: «كما قال المسيح: للبيت المنقسم لا يقوم»(٦)، وهو في [متى ١٢: ٢٥]، وقال: «قالوا إنَّ المسيح قد قال يومًا لتلاميذه: احذروا الأنبياء الكذبة، قالوا: كيف نعرفهم؟، قال: بثمارهم تعرفونهم»(٧)، وأصل ذلك في [متى ٧: ١٦]، وهكذا استمر محمود طه في الاقتباس عن الإنجيل، بدقة، لكنه لما ينسب كلامًا إلى النبي ﷺ يفضح جهله بما قاله النبي محمد ﷺ.

ولم يكن لمحمود طه أن يتوقف وهو الذي تصدّر للحديث في الإسلام،

---

(١) رسالة الصلاة، محمود طه، ص١٠٨.
(٢) الثورة الثقافية، محمود طه، ص٩.
(٣) الثورة الثقافية، محمود طه، ص٢٢.
(٤) الثورة الثقافية، محمود طه، ص٢٢، ٢٣.
(٥) محمود محمد طه رئيس الحزب الجمهوري يقدّم الإسلام، ص٢٥.
(٦) محمود محمد طه رئيس الحزب الجمهوري يقدّم الإسلام، ص٤٣.
(٧) مقدمة الطبعة الرابعة لكتاب: الرسالة الثانية من الإسلام، محمود محمد طه، منشورة على موقع: https://www.alfikra.org

وكان فهمه للآيات القرآنية يتجاوز القواعد العربية، وقواعد التفسير، وفي إطار تسويغه لجهله في العلوم الإسلامية، كان يعتبر العلم تابعًا للعمل، لا القراءة ولا البحث، ولا الدراسة والسهر والجد، وبهذا يفسر قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢] فيقول:

«رجاء أن يعلمنا الله من عنده العلم اللدني، وهو موعوده حين قال: (واتقوا الله) اعملوا بالشريعة كما بلغتكم عن المعصوم، (ويعلمكم الله) يعني الحقيقة، وهي الأسرار ومنها أسرار الحكمة»[1]، وحتى لا يقال له: أين تذهب؟ يصوّر أنه يستدل بالقرآن على ما يقوله، فيقول: «مسألة العلم اللدني تبدو غريبة على الأسماع، ولكن أليست هي عبارة (ويعلمكم الله) من آية: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾؟»[2].

فيقال: نعم ليست هي، وليس في الآية ما يدل على ما ذهب إليه، فإن قوله: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ «جملتان مستقلتان؛ طلبية وهي الأمر بالتقوى، وخبريّة وهي قوله تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ أي: والله يعلمكم ما تتقون، وليست جوابًا للأمر، ولو أريد بها الجزاء لأتِيَ بها مجزومةً مجردة عن الواو، فكان يقول: واتقوا الله يعلمْكم، أو إن تتقوه يعلمْكم، كما قال: ﴿إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾ [الأنفال: ٢٩]»[3].

لكن ما لمحمود طه وللعربية، وهو القائل: «ضَلال قديم هو اعتبار أن معاني القرآن إنما تلتمس في اللغة العربية»[4]، «القرآن ليس له لغة، وإنما اتخذ

---

(١) القرآن ومصطفى محمود والفهم العصري، محمود محمد طه، ص١٦١.
(٢) القرآن ومصطفى محمود والفهم العصري، محمود محمد طه، ص١٦٢.
(٣) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، محمد ابن قيم الجوزية، تحقيق: عبد الرحمن بن حسن بن قائد، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، الطبعة الأولى: ١٤٣٢هـ، ج١، ص٤٩٣.
(٤) القرآن ومصطفى محمود والفهم العصري، محمود محمد طه، ص٢٠٦، ٢٠٧.

اللغة العربية وسيطًا إلى الوصول إلى لغته، ما هي لغته؟ هي أناغيم النفس الإنسانية التي تنساب في أودية قد تحجبت بحجب الأنوار، وبحجب الظلمات»[١].

بهذه الصورة الإنشائية يتعامل مع تفسير القرآن، لغة القرآن هي أناغيم النفس الإنسانية وهي تنساب في الأودية، ومن عنده نغمة من تلك النغمات فليتبجح بأنه يعرف الحقيقة متجاوزًا اللغة، والقواعد والأصول، لا يحتاج أن يدرس ليعلم القرآن، لكن الناس يحتاجون إلى الاطلاع على كتب محمود طه، الذي يقول: «القاعدة الدينية في حديث نبينا: من عمل بما علم، أورثه الله علم ما لم يعلم»[٢]، وقد سبق أن هذا موضوع الإسناد، لا يصح عن النبي ﷺ، حتى يستنبط منه قاعدة دينية، وهو يحسبه يؤكد فهمه المغلوط لمعنى الآية.

وقد كان الجمهوريون أمينين لقاعدة (أناغيم النفس) تلك، فكانوا يفسرون القرآن بما يحلو لهم، ومن أمثلة استدلالاتهم: «تبلغ حرية الرأي مبلغ ما تحكيه الآية الكريمة: ﴿فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ﴾ [الكهف: ٢٩]»[٣]، فهل هذه الآية تدل على حرية الرأي؟

إن «قوله: ﴿فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ﴾ كل هذا على الوعيد والتهديد والتغليظ تحذيرًا، وتهديدًا، لا على أمر التعبد، ولا على الإباحة»[٤]، فـ «ظاهر هذه الآية [أنها] أوجبت الزجر والردع والتقريع لا أنها واردة إذنًا بالفعل ألا ترى إلى ما هو منوط من قوله ﷻ ﴿مَنْ شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ

(١) القرآن ومصطفى محمود والفهم العصري، محمود محمد طه، ص٢٠٧.
(٢) لا إله إلا الله، محمود محمد طه، ص٥٦.
(٣) مفارقة الإخوان المسلمين للشريعة والدين، الإخوان الجمهوريون، ص٢٤.
(٤) تعظيم قدر الصلاة، محمد بن نصر المَرْوَزي، مكتبة الدار، المدينة المنورة، الطبعة الأولى: ١٤٠٦هـ، ص٥٦٤.

﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَاۚ﴾ [الكهف: ٢٩] وهو إفزاع وإرهاب وارتداع عن الكفر»[١].

فهذه الآية لا تتحدث عن حرية الرأي من الأساس وسياقها للتقريع، وهي مثل المثل السائر، وهو مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى: «**إذا لم تستحِ فاصنع ما شئت**»، فهل يقول عاقل بأن هذا يدل على الحرية في الفعل، ونحو هذا؟ هذه الصيغة العربية لا تدل إلا على التقريع، فهو يقرّع غير أولي الحياء على أفعالهم، لا أنه جاء ليبين أن الحرية تبلغ مبلغًا عظيمًا تسمح لهم بفعل ما يشاؤون.

فمع هذا وأمثاله كان محمود طه يقول: «إن الثورة الفكرية متخلفة تخلفًا مزريًا، وكل هذا التخلف إنما مرده إلى **الجهل بالدين**»[٢]، وكأن محمود وحزبه فيهم عالم بالدين، لقد كانوا يعانون من أميّة دينية، حاولوا نسبتها إلى التصوف، وكأنهم لم يقرأوا نصيحة عبد القادر الجيلاني، وهو أحد كبار الصوفية وهو يحث على التعلم، والتماس المعرفة عند العلماء: «**امش في طلب العلم والعلماء حتى لا يبقى مشي، امش حتى لا تطاوعك ساقاك**»[٣].

لكن لماذا يمشون في الدراسة وطلب العلوم الشرعية؟ وهم جالسون مع أناغيم نفوسهم، يكررون الادعاء بأن ما سطروه إنما تلقوه بطرق خارقة، أنى للفقهاء والعلماء أن يجاروهم فيه، أو يفهموا كلامهم؟ فماذا سيخرج من تحكيمهم أفهامهم وهي بمثل هذه الأهلية في المعرفة الدينية بعد هذا؟

---

(١) تهذيب الأجوبة، الحسن بن حامد، حققه وعلق عليه: صبحي السامرائي، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م، ص١٣٢.

(٢) الدين والتنمية الاجتماعية، محمود محمد طه، ص٢٣.

(٣) في الباطن والظاهر المسمى جلاء الخاطر، عبد القادر الجيلاني، تحقيق: خالد الزرعي، عبد الناصر سري، دار ابن القيم، دمشق، الطبعة الأولى: ١٩٩٤م، ص ٥٤.

لقد كان الحلّاج لا يحسن القرآن والفقه، ولا الحديث[1]، واكتفى بدعواه المعارف الخارقة، وقدرته المزعومة على الأعمال العجيبة، وكان في الحديث يروي ما ينشئه من كلام، مما يمكن لأي أحد أن يقوله، ولما كان في خصومة مع طلب العلم، كان يروي عن غير البشر، فروى عن الجمادات عن الله، قال: «حدثتنا خضرة النبات، وألوان الأنوار، عن حياة القِدم، أن الجنة لتزلف كل يوم مرات، كما تزلف الأرض المقدسة كل عام مرة»[2]، كان يملأ الفراغ بأي كلام، فيقول: «حدثتنا ساعة الساعات، عن الحسن عن الإحسان عن الإرادة عن الله ﷻ أنه قال: محبة أهل محبتي، هي الدليل على محبتي»[3]، كان بمثل هذا الكلام يوهم أتباعه بأن معرفته لدنيّة، وأنى للفقهاء الوصول إليها!

(١) انظر: سير أعلام النبلاء، ج١٤، ص٣٢٧.

(٢) الحلاج؛ الأعمال الكاملة، قاسم محمد عباس، ص٢٧١.

(٣) الحلاج؛ الأعمال الكاملة، قاسم محمد عباس، ص٢٧٢، باختصار.

مواقف محمود طه في العقائد

تعامل محمود طه مع العقائد الإسلامية على أنها مرحلة انتقال إلى ما بعدها، فقال: «الإسلام في حقيقته ليس دينًا بما ألف من الأديان، وإنما هو علم، وما مرحلة العقيدة فيه إلا مرحلة انتقال إلى المرحلة العلمية»(١)، إنه يدور في فلك اعتبار العقائد تقليدًا، فيقول: «التقليد في أول طريق السالك المجوّد، وسيلة إلى التحرر من التقليد عند الاستواء»(٢)، ولا يتحدث هنا عن تقليد فقيه أو عالم في حكم فرعي اجتهادي، بل يتحدث عن «تقليد النبي»(٣).

إن التقليد هو قبول قول بلا حجة من عالم بالمسألة تثق بمعرفته فيها، مثلًا: لما يأتي عامي جاهل في الفقه إلى عالم في الفقه، ويسأله عن حكم قراءة الفاتحة في الصلاة، يجيبه الفقيه، وقد لا يفهم العامي الدليل، فيقبل قول العالم في إخباره عن حكم في الشريعة، دون بيان دليل له، والأدلة تكون من كتاب أو سنة أو إجماع أو قياس، فالسنة من الأدلة التي يستعملها العالم، أما المقلد فيتبع قول الفقيه دون حجة، لأنه ليس مؤهلًا لفهم حجته، أما العالم فيعرف الأدلة التي يستنبط منها الحكم.

فلا يقال لمن تابع النبي ﷺ بأنه قلده، إلا على وجه التجوّز في العبارة

---

(١) الرسالة الثانية من الإسلام، محمود محمد طه، ص٥٦.

(٢) محمود محمد طه رئيس الحزب الجمهوري يقدّم الإسلام، ص٤٣.

(٣) محمود محمد طه رئيس الحزب الجمهوري يقدّم الإسلام، ص٤٣.

دون هذا المعنى، لأن النبي بأقواله وأفعال وإقراره حجة دينية لمن تابعه، فقد تبع الدليل باعتباره تابعًا لاعتقاد نبوّة النبي ﷺ، لكن لم تكن عبارة محمود طه اصطلاحًا له على اتباع الدليل، بل هو يعتبر من تابع النبي ﷺ مقلّدًا وليس عالمًا اتبع الدليل، بهذا التبخيس في حق من تابع الدليل الشرعي يريد أن يصل إلى أنه مقلد وليس بعالم.

وهنا يبرز دوره في المرحلة التالية على اتباع النبي ﷺ، فإن كان فهمك واتباعك لما أمرك به النبي مجرد تقليد في الدين، فما هو العلم بالدين، ومتى تنتقل من رتبة المقلد إلى العالم به؟ هنا ينطلق محمود طه ليقول بأن التقليد مجرد حلقة توصل إلى ما بعدها، إلى مرحلته هو، مرحلة العلم، ولا يقصد هنا بالعلم التجريبي، ولا بالعلم ذلك الذي تقام عليه الأدلة من كل موضوع بحسبه، كالعلم الشرعي، والعلم باللغة، بل هو يقصد بالعلم ذلك اللدني، أي الذي يأخذ فيه عن الله مباشرة، كما هي حاله التي يزعمها، يقول: «مرحلة العبادة مرحلة تذوق الحقيقة، وإنما مرحلة إعداد لهذا التذوق، هي مرحلة عقيدة، في حين أن مرحلة تذوق الحقيقة مرحلة علم»[(١)]، فالتذوق الذي زعمه لنفسه هو مرحلة العلم.

فهذا يعني أن ما جاء به النبي ﷺ، هو مرحلة دنيا فحسب، مرحلة تصلح لبداية السالك، فما يعتبره الفقهاء هو المنتهى من اتباع النبي، ما هو إلا ما يصلح لخطاب العامة عند محمود طه، ووراء ذلك مرحلة للخواص، مرحلة ليست لأي أحد، إنما هي لمحمود طه وأمثاله بزعمهم، مرحلة التذوق، هي مرحلة العلم الحقيقي، مرحلة الأخذ عن الله مباشرة دون وسائط، مرحلة الخواص الذين لا يتوقفون مع النصوص من كتاب وسنة التي لا تفيد إلا

(١) القرآن ومصطفى محمود والفهم العصري، محمود محمد طه، ص٢٨.

التقليد بنظره، بل طريقهم الذي يفيد العلم، كونهم ذاقوا، وأخذوا العلم عن الله، يقول محمود طه: «بداية الخواص هي بداية العوام، ولكنهم أقدر من العوام على التطور والارتفاع في سلم الكمال، فحيث يظل العوام في أول السلم، يرقى الخواص المراقي»[1]، فما العلم الذي وصل إلى محمود طه الذي اعتبر نفسه من الخواص هؤلاء، وتابعه أنصاره على أن ما أتى به من العلوم، التي لا قبل للفقهاء بها؟

(١) أسئلة وأجوبة، محمود محمد طه، ص١١.

موقفه في الله وأسمائه وصفاته

إن المسلمين يعتقدون بأن ما أنزله الله في القرآن حق، وأن النبي ﷺ بلغ الرسالة ونصح الأمة، وأن الله أقام به الحجة على خلقه، وأن الحق من الدين هو الذي دعا إليه النبي وما بعد الحق إلا الضلال، وأخصّ ما بعث به النبي هو التوحيد الذي يفترق به أهل الإيمان عن أهل الكفر، باعتقاد أن الله واحد لا شريك له، وأنه خالق كل شيء دونه، وأنه متصف بصفات الكمال، ونعوت الجلال، وأنه وحده المستحق للعبادة، فما هو قول محمود طه؟

لقد جعل من مسألة الذوق مسألة أساسية في معرفة الله فقال: «الكشف معناه ظهور الحقائق للعقل الواعي، **من العقل الباطن**، ظهور تجربة وذوق، وهو من ثَم ظهور يقين لا يدركه الشك... فدور الكشف **في التوصل إلى وجود الله، وإلى معرفة الله، هو دور أساسي والأصلي وإن شئت فقل التوحيد**»[١].

فبتعبيره بالعقل الباطن فيما فيه محاكاة لاصطلاحات سيغموند فرويد، جعل ذلك هو الأساس في الفهم، وقد سبق قوله بأن الذوق هو أن يأخذ عن الله كفاحًا، فإذا به هنا يتحدث عن أخذه عن العقل الباطن، لا عن الله مباشرة، وهذا يعني أن معارفه التي يزعم أنه تلقاها عن الله مباشرة مخزونة في عقله الباطن دون شعور منه، قد سمعها من هنا وهناك، ثم لما تفطن لها حسب أنه ألهم بها من الله! فمعارفه لم تأت بجديد، إنما هي محكومة بسقف

(١) أسئلة وأجوبة، محمود محمد طه، ص١٩.

طبيعته الجسدية، ومعارفه، وظرفه، ودراسته، وقراءاته، وتجاربه، لا أكثر حتى يجري افتراض شيءٍ زائدٍ على هذا لتفسيره، وهو لو اتسق مع نفسه لوفر عناء تتبع ما استخرجه من عقله الباطن وبثه في كتبه، على أنه معارف عن الله مباشرة.

لكنه لابد أن يبعد أكثر من فرويد، ويوضح مقصده بالعقل الباطن، فيقول: «فهم القرآن يرسل النور في سراديب العقل الباطن، حيث تكبل الرغائب السجينة من ملايين السنين، بعيدة عن النور، والحرارة والحياة، وكلما تغلغل النور في السراديب، كلما انبعثت الشخصية البشرية»[1]، فيمزج ما سمعه عن فرويد بمقالات أفلوطين عن ارتباط النفس الجزئية بالنفس الكلية، فعبر عن هذا بمثل هذه الكلمات.

ثم إن مسألة اليقين لا ترتبط بالصحة، وقد أجاد في نقد مثلها كانط حين نقد ما يسمى بالدليل الأنطلوجي، فبيّن أن وضوح مسألة في ذهنك، لا يعني أنها صحيحة في الواقع أو أنك برهنت عليها، ومن قبل كانط كان ابن تيمية قد نقد مثل هذا مرارًا في كتبه، فوضوح شيء وتصوره في ذهن المرء لا يجعل من هذا إثباتًا لواقعة، فقد يتيقن باطلًا، وقد يتصور مسألة تمام الوضوح، وتكون مركّبة من الواقع كما بسط النقد في هذا ابن تيمية في كتابه (الرد على المنطقيين)، وكما هو نقد هيوم من بعده على ديكارت.

وبالعودة إلى ما قاله محمود طه، فإنه وعد هنا بمعرفة يقينية، ومعارف هي العلم الحقيقي، لا القشور، ولا السطور التي ينهمك فيها القارئون دون ذوق، وتجربة روحانية توصلهم إلى مثل تلك المرحلة التي زعم أنه دخلها، فما هي تلك المعارف التي يتحرق نهم طلاب الحق إلى معرفتها، وما الجديد الذي فيها؟

(١) محمود محمد طه رئيس الحزب الجمهوري يقدّم الإسلام، ص٤٣.

قال محمود طه عن الله «ذاته وحدة مطلقة تعيي التفكير، وتسوقه إلى الضلال هذا إذا لم يهده الضلال إلى العجز»[١]، وعلى رغم هذا فإنه يرى بأن «العقل يدرك صفات الله وأفعاله، بالتصديق به»[٢]، ويشرح محمود كيف يدرك صفات الله وأفعاله، فيبادر بقوله: «الله في ذاته الساذج لا يُعرف، ولا يُسمى، ولا يوصف، ولكن بمحض فضله تنزل من صرافة ذاته، إلى منازل أسمائه، وصفاته وأفعاله»[٣].

أي إن الله في ذاته لا يعرف ولا يوصف ولا يسمى، لكن هناك ما يسميه محمود تنزلًا، يتنزل ذلك (الساذج) بتعبيره، الذي لا يعرف إلى منزلة فيها أسماء وصفات وأفعال حتى يعرف تفضلًا منه على خلقه، لكنه دون ذلك التنزل لم يكن ليعرف، هنا يجري تصوير الله بأنه ذات مجردة، مطلقة، لا تعرف ولا توصف، ذلك المطلق إنما هو مثل المثل الأفلاطونية، محض فكرة، يزعم محمود بأن هذه الفكرة المجردة تنزل إلى مرتبة الأسماء والصفات، فصفات تلك الذات منفصلة في الأساس عن تلك الذات المجردة.

إن نظرته للإله على أنه ذات مطلقة، لم تعينها صفات، نظرة مثالية، والمثالية هي النظرة الفلسفية التي تنطلق من الوعي، من المُثُل الفكرية النظرية وتعتبرها سابقة على المعيّن المحسوس، تلك النظرة التي ترى بأن هناك عالمًا عقليًا لا يقبل الحس، فيه مجردات، هو المسؤول بشكل أو بآخر عن المحسوسات المعينة، هذا التصور اتسق معه أفلاطون في فلسفته، ولكن ذلك العالم على التحقيق لم يكن سوى أفكار أفلاطون التي زعم أنها موجودة في الواقع، فالأشياء في الواقع خارج الذهن لا توجد مطلقة من الصفات، لا

---

(١) أسئلة وأجوبة، محمود محمد طه، ص٢٣.

(٢) القرآن ومصطفى محمود والفهم العصري، محمود محمد طه، ص١٣.

(٣) القرآن ومصطفى محمود والفهم العصري، محمود محمد طه، ص٢٠.

يوجد كليّ خارج الذهن، فمن زعم بوجود كليّ خارج الذهن خلط بين ما في ذهنه وما في الواقع، لما يقال مثلًا الإنسانية، فإن هذا الاصطلاح الكلي موجود في الذهن، لن تقابل يومًا الإنسانية تتبختر في طريق!

إنما يوجد إنس معينون، لكل إنسي صفاته المميزة له المعيّنة له، فهذا فلان وذاك فلان، هذا هو الموجود في الواقع، ثم إن العقل لما يشاهد كثرة الأفراد يستنبط منها معنى كليًا، هذا الكلي هو في الذهن لا في الواقع، ويقدر الذهن على التجريد، مثلًا تتصور نوع الحصان، يمكنك تصور حصان مجرد عن الألوان، لكنه في الواقع لا يوجد حصان مجرد عن صفاته التي تعيّنه، لا يوجد مطلق في الواقع، ولا كلي، لكن لمحمود طه رأي آخر، فيقول: «العقل عقلان: **عقل كلي، قديم، وهو المسيطر على جميع العوالم، علويها، وسفليها**، وعقل جزئي، محدث، وهو ما يتمتع به الفرد البشري العاقل، **وكمال العقل الجزئي، المحدث، أن يطابق، ويوافق، العقل الكلي القديم**»[1].

إنه يصور الله على أنه عقل كلي قديم، على أن الكلي هو في الأذهان لا الأعيان، هو مجرد مفهوم يقوم بالذهن، لا وجود له في الخارج، كما أنه يتصور الله على أنه عقل، والعقل ليس مستقلًا، فكيف به يكون عقلًا وكليًا وفي الخارج؟ فإن «العقل في كتاب الله وسنة رسوله وكلام الصحابة والتابعين وسائر أئمة المسلمين **هو أمر يقوم بالعاقل، سواء سمي عرَضًا أو صفة، ليس هو عينًا قائمة بنفسها**، سواءً سمي جوهرًا أو جسمًا أو غير ذلك، وإنما يوجد التعبير باسم العقل عن الذات العاقلة التي هي جوهر قائم بنفسه في كلام طائفة من المتفلسفة الذين يتكلمون في العقل والنفس، ويدّعون ثبوت عقول عشرة كما ذكر ذلك من ذكره من أتباع أرسطو أو غيره من المتفلسفة المشائين، ومن

(١) الكتاب الأول من سلسلة رسائل ومقالات، خطاب إلى المحامي العام في الباكستان بشأن دستور الباكستان والقرآن، https://www.alfikra.org

تلقى ذلك عنهم من المنتسبين إلى الملل»[(١)]، وذلك حين خلط العديد من المنتسبين إلى أرسطو بين فلسفته وبين فلسفة أفلوطين.

على أن كل ما زعم وجوده خارج الذهن مجردًا من عقل كلي، أو غير ذلك لا وجود له إلا في رأس قائله فحسب، والكتاب والسنة فيهما نقيض هذا التصور، من إثبات الله المعيّن، لا الكلي، الموصوف لا المنفي عنه الصفة، ليس مثل هذا التصور المستورد عن الفلسفات المثالية من أنه عقل ـ روح ـ وعي قائم بنفسه، وبما أن مرحلة العلم عند محمود طه كانت مثل المتجر الذي يبيع أي شيء، فإنه نفسه لما تكلم عن ماركس قال: «هل رأى كارل ماركس في أن العقل لاحق، والمادة سابقة صحيح نعم»[(٢)]، ويصحح هذا فيقول: «ما من شك أبدًا أن في التطور في الناحية المادية العقل لاحق والجسد سابق»[(٣)].

فينبغي أن يتسق مع نفسه بأن يطرد هذا الأصل بأن الكلي الذهني مهما سماه، فإنه لاحق وليس سابقًا، إنها المسألة نفسها ولكن بتصوير مختلف، ولكونه لم يضبطها فإنه حسبهما مسألتين، هل الكلي موجود قبل الإنسان، أم الدماغ المعيّن المحسوس، هو السابق على التجريد الذهني؟ لقد نصَرَ بأن وجود الدماغ يسبق الوعي، فعليه أن يتسق، بأنه لا يوجد وعي مستقل قائم بنفسه منفصل عن القابل للحس، فكيف بوعي كلي مستقل يسميه القديم بأنه المسيطر على الكون، والله ليس كليًا بل هو معيّن، وليس مجردًا مثاليًا، والعقل لا يوجد إلا صفة في العاقل، لا أن هناك عقلًا مستقلًا، لا قديمًا ولا محدثًا، بل الله يقبل الحس ولذا أثبت أهل السنة الرؤية للمؤمنين يوم القيامة ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة]، فأين هذا من المجرد الكلي، الذي يسميه بالعقل القديم؟

---

(١) رسالة في العقل والروح، أحمد بن تيمية، دار الهجرة، بيروت ـ لبنان، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ص٩، ١٠.

(٢) الماركسية في الميزان، محمود محمد طه، ص٢٥.

(٣) الماركسية في الميزان، محمود محمد طه، ص٢٦، ٢٧.

وقد كان علماء المسلمين حريصين على عدم خلط العقائد الإسلامية بالوافد اليوناني المترجم، حتى فيما هو ليس من العقائد، ففي النحو عبّر ابن هشام أن «مَنْ: تكون للعالِم»[1]، مع أن العديد من النحاة قالوا إن (مَن) تأتي للعاقل، لكن لما رأى أن (مَن) قد يعبّر بها عن الله، ولما لم يرد في أسماء الله وصفاته الواردة في الكتاب والسنة وصفه بالعقل، بل وصفه بالعلم، عبّر عنها بأنها تكون للعالِم، فانظر إلى هذا في ذا المجال البعيد عن تقرير مسألة تتعلق بالله، بقدر تعقلها باللغة، وانظر إلى صنيع محمود طه وانغماسه في أطروحاته التي يستنسخها عن المقالات المثالية في الله.

وبالعودة إلى أطروحات محمود طه فإنه يرى أن تلك الذات المجردة التي لا تعرف ولا توصف، أو ذلك العقل الكلي ينزل متفضلًا في أسمائه وصفاته، والتي لم تكن له قبل ذلك التنزل، إن «نفس الله تتنزل من الإطلاق إلى القيد»[2]، لقد كان مطلقًا، محض فكرة، ثم تنزل إلى القيود من الصفات والأسماء، فهل بعد هذا التنزل من رتبة أخرى، يقول: «تنزلات ثلاث: تنزلة إلى الاسم، وثانية إلى مرتبة الصفة، ثم ثالثة إلى مرتبة الفعل»[3].

هذه المراتب في التنزل مهمة عنده بل هي حقائق الدين، إنها الأصول التي لا يعرفها الجاهلون الذين يقرأون ويكتبون، إنها المعرفة التي تعرف بالذوق، وأخذها عن الله كفاحًا، قال محمود طه: «هذه هي الحقائق الكبرى في الدين، الله أرفع من الوجود كله، الوجود مظهره في تنزلاته ليعرف»[4]، إذن الوجود مظهر الله في تنزلاته.

---

(١) أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، عبد الله بن يوسف بن هشام الأنصاري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، ج١، ص١٤٧، باختصار.

(٢) القرآن ومصطفى محمود والفهم العصري، محمود محمد طه، ص٢٠٨، باختصار يسير.

(٣) أسئلة وأجوبة، محمود طه، ص٥٨.

(٤) الماركسية في الميزان، محمود محمد طه، ص٣١.

ما معنى أن الله أرفع من الوجود كله؟ أليس يشمل في هذا وجوده هو، هل هو أرفع من وجوده، إنه يدور حول فكرة أن الله عدم محض، مجرد فكرة مطلقة، كما تقول رقم واحد في ذهنك، هو مطلق، لا يوجد في الواقع واحد مطلق، أنت تقول هذا إنسان واحد، وذلك حصان واحد، في الواقع يكون كل فرد له صفاته الخاصة به، لكن لما تقول الواحد مطلقًا هذا مجرد رقم ليس له صفة تعيّنه، إنه في ذهنك، يمكن أن يفيد في الحساب الذهني، لكنه ليس بإطلاقه موجودًا في الواقع، بل خارج الذهن ما ثَم إلا المعيّن الذي لا ينفصل عن صفاته، بل الشيء ما هو إلا مجموع صفاته القائمة به.

ما معنى تنزله في فعله؟ يشرح محمود طه هذا بقوله: «**من رأى من وراء فعل المخلوقات فعل الله فهو موحد، وفي الحق أن التوحيد كله في مقام وحدة الفاعل، وهو ما عنيناه بعبارة رأى من وراء فعل المخلوقات فعل الله**»[1]، فهل التوحيد كله هذا الذي يقوله: توحيد الفاعل؟ فإن كان يقصد بأن كمال التوحيد هو اعتقاد المرء أن الله هو خالق كل شيء؟ فهذا التوحيد أقر به المشركون الأوائل، قال الله تعالى عنهم: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ ۚ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [الزمر]، فقد «**بيّن أنهم مع عبادتهم الأوثان مقرّون بأن الخالق هو الله**، وإذا كان الله هو الخالق فكيف يخوّفونك بآلهتهم التي هي مخلوقة لله تعالى، وأنت رسول الله الذي خلقها وخلق السماوات والأرض؟!»[2].

فما معنى أن يدعوهم إلى اعتقاد أن الله هو الخالق فحسب، وأن يكون

---

(١) رسالة الصلاة، محمود محمد طه، ص٨٧.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد القرطبي، مؤسسة الرسالة، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى: ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، ج١٨، ص٢٨١، ٢٨٢.

هذا هو التوحيد كله، وهم يقرون به، ومع ذلك يتبرأ من عملهم، ويقول لهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ [الكافرون: ١]، ويقول: ﴿لِّي عَمَلِي وَلَكُمۡ عَمَلُكُمۡۖ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعۡمَلُ وَأَنَا۠ بَرِيٓءٞ مِّمَّا تَعۡمَلُونَ﴾ [يونس: ٤١]، فصحيح أن من التوحيد اعتقاد أن الله هو الخالق، لكن ليس هذا هو التوحيد كله، بل لن يؤمن حتى يعتقد بأن الله متنزه عن النقص كالولد والوالد، وأن له صفات الكمال فهو الحي القيوم، وأن يفرده بالعبادة وحده لا شريك له، وهذه هي دعوة الأنبياء والرسل: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾ [النحل: ٣٦].

فدعا الأنبياء أقوامهم لإفراد الله بالعبادة، وهذا زائد على اعتقاد أن الله خالق ورازق، فقد يعتقد من يشرك في العبادة بأن الله خالق، «فإن مشركي العرب كانوا معترفين بأن خالق العالَم واحدٌ وكانوا على بقايا من دين إبراهيم وكانوا يحجون، وأصل شركهم هو عبادة تماثيل»[1]، وقد كان المشركون في حجهم يقولون: «لبيك لا شريك لك، إلا شريكًا تملكه وما ملك»[2]، فنفوا عنه الشريك في الملك، وإنما جعلوا له شريكًا في العبادة، قال تعالى عنهم: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣]، فما هذه المعرفة الكشفية التي قصارى الأمر فيها أن تجعله يقول بأن الله خالق العالَم، ويحسب أن هذا هو التوحيد كله، فينتهي حيث كان المشركون يعترفون؟

ثم ما معنى قوله: توحيد الفاعل؟ هل يعني أنه لا فعل لأحد إلا الله؟ أي لا تأثير للأسباب، فليس في النار تأثير في الإحراق مثلًا، فعلى هذا يكون الإنسان لا يفعل، إنما الذي يفعل الله، هل هذا قصده؟ هل الإنسان لا يسرق

(١) قاعدة في أن كل دليل عقلي يحتج به المبتدع ففيه دليل على بطلان قوله، أحمد بن تيمية، تحقيق: عبد الله بن علي السليمان آل غيهب، دار أطلس الخضراء للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤٤١هـ/ ٢٠١٩م، ص٨٩.

(٢) انظر: صحيح مسلم، رقم الحديث: ١١٨٥، ص٥٣١، ٥٣٢.

ولا يقتل بل الله هو من يفعل هذا كونه وحّد الفاعل؟ بمعنى هل قدرة الإنسان وإرادته سبب لفعله، أم لا أسباب هنا، وأن الأمر هو فاعل واحد فحسب؟ يقول محمود طه: «**ليس هناك في الحقيقة سبب يؤدي إلى سبب، وإنما هو ترتيب تعاقبي يستعد به المحل لتلقي الفيض الإلهي، في كل لحظة، فتظهر** الحركة بعد استعداد المحل لها من عند الله... هذا التفصيل من دقائق **التوحيد في الإسلام**»[1]، ولكن عامة الناس يأخذون بالأسباب، وينسبون إليها التأثير والفعل، وهذا يدفع محمود طه ليقول: «**التوحيد كله في مرتبة وحدة الفاعل، لأنها مرتبة الشرك الخفي، ولن يخلص العبد من الشرك الخفي إطلاقًا**»[2].

وهذا الذي قاله لا يحسب على الإسلام، والقرآن مملوء بإثبات الأسباب، مثل قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [البقرة: ١٦٤] فأحيا بالماء لا عند الماء، وقوله: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ۝٩﴾ [ق]، فأنبت به، لا عنده، وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ [الأعراف: ٥٧].

إنما قوله تابع لمقالة فرقة متأخرة، في سياق خصوماتها مع المعتزلة اضطرت الأشعرية لمثل هذا القول لكنه خلط كلامهم بنظرية الفيض لأفلوطين، التي نصرها ابن سينا، «وإلا فالذي عليه السلف وأتباعهم، وأئمة أهل السنة، وجمهور أهل الإسلام المثبتون للقدر المخالفون للمعتزلة إثبات الأسباب.

وأن قدرة العبد مع فعله لها تأثير كتأثير سائر الأسباب في مسبباتها، والله تعالى خلق الأسباب والمسببات، والأسباب ليست مستقلة بالمسببات، بل لابد من أسباب أخر تعاونها، ولها مع ذلك أضداد تمانعها، والمسبب لا يكون

---

(١) أسئلة وأجوبة، محمود طه، ص٥٨.

(٢) رسالة الصلاة، محمود محمد طه، ص٨٧.

حتى يخلق الله جميع أسبابه، ويدفع عنه أضداده المعارضة له، وهو سبحانه يخلق جميع ذلك بمشيئته وقدرته كما يخلق سائر المخلوقات، فقدرة العبد سبب من الأسباب، وفعل العبد لا يكون بها وحدها بل لابد من الإرادة الجازمة مع القدرة»[١].

على أي حال فإن محمود طه لا يتوقف عند مقالة أشعرية، بل يجاوز إلى أبعد من ذلك، فليس في الحقيقة عنده لا فاعل إلا الله فحسب، بل «ليس في الوجود إلا الله»[٢]، ما معنى؟ يوضحه بقوله: «**فالمخلوقات هي الله، والإنسان طليعتها في ذلك... فالمخلوقات هي الله، ولكن ليس الله هو المخلوقات**»[٣]، فالمخلوقات هي الله لا العكس، لأن الإله عنده يتنزل من الإطلاق إلى التقييد، من الفكرة إلى التعيين، والوجود المعيّن لن يكون المطلق، لكن المطلق عنده هو الذي يتنزل إلى المعيّن، بلغة أخرى الفكرة تتنزل إلى المحسوسات، لا أن المحسوس المعيّن يصير الفكرة، فالله أرفع من الوجود يتنزل في الوجود.

ولكن أليس هذا مثل قول النصارى، بأن المسيح هو الله؟ وأنه لاهوت في ناسوت، هو مثله مع زيادة، يقول محمود طه: «الوجود هو الله، وهناك قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَۖ﴾ [المائدة: ٧٢]، **في هذا لطيفة من رقائق، ودقائق اللطائف العرفانية، وتلك هي أن الذين قالوا: إن المسيح بن مريم هو الله ما كفروا، هذه هي الحقائق الكبرى في الدين، الله أرفع من الوجود كله، والوجود مظهره في تنزلاته ليُعرف**»[٤]، أي عنده من الكفر أن تقول: إن الله هو المسيح، لكن من الحقائق الدينية أن تقول: المسيح هو الله!

---

(١) مجموع فتاوى أحمد بن تيمية، ج٨، ص٤٨٧.

(٢) أسئلة وأجوبة، محمود طه، ص٢٠.

(٣) أسئلة وأجوبة، محمود طه، ص٢٠.

(٤) الماركسية في الميزان، محمود طه، ص٣١.

ففرق بين قولك: الجبل طين، وبين قولك: الطين جبل، فالأول يبين أن الجبل كله طين، لكن الثاني يقول: إن كل الطين جبل، فيحصر كل الطين في العالم في جبل فما الذي يرفضه محمود طه؟ يرفض أن تحصر الله في المسيح، فهذا سيقطع عليه طموحه الفذ! لذا يسلّم بأن المسيح هو الله، ولكنه المسيح مع غيره أيضًا حتى يتمكن محمود طه أن يقول هو الله أيضًا، ولا تقطع الكنيسة عليه الطريق في ادعائها أن اسم الله إنما يصدق على المسيح والروح القدس والآب فحسب، ولا المسلمون بقولهم بأن من زعم أن غير الله الأحد الصمد هو الله كفر، قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [آل عمران]، وقال: ﴿ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام: ١].

ومن هنا زعم هؤلاء بأن فرعون حين قال: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤] أنه كان مؤمنًا، فلم يقل: الله هو أنا، بل قال: إنه هو ربهم، وهذا بنظر محمود من حقائق الدين، فجعلوا فرعون من كبار العارفين بالله، حيث علم أنه هو الرب الأعلى! ولم يأخذ بالواسطة، بل أخذ عن الله كفاحًا بالذوق، لذا لمّا كان الحلّاج مقدم حزبهم، فإنه جعل إبليس وفرعون أستاذيه، فقال: «إن لم تعرفوه، فاعرفوا آثاره، وأنا ذلك الأثر، وأنا الحق، لأني ما زلت أبدًا بالحق حقًا، فصاحباي وأستاذاي إبليس وفرعون، وإبليس هدد بالنار وما رجع عن دعواه، وفرعون أغرق في اليم، وما رجع عن دعواه ولم يقر الواسطة البتة»[1]، فكان فرعون بنظره يأخذ عن الله وكان من العارفين، لذا كان أستاذًا له، وتبعه ابن عربي على تعظيم فرعون لكن بعبارة مخففة حيث جعل إيمانه متأخرًا، فقال: «كان [موسى] قرة عينٍ لفرعون بالإيمان الذي أعطاه الله عند الغرق، فقبضه طاهرًا مطهرًا ليس فيه شيء من الخبث، لأنه قبضه عند إيمانه قبل أن

---

(١) الطواسين، ضمن: الحلاج؛ الأعمال الكاملة، ص١٩٢، ١٩٣.

يكتسب شيئًا من الآثام»[١].

وهذه نتيجة حتمية للقول بأن من حقائق الدين أن المسيح هو الله! وقد كان محمود طه من المولعين بـ (فصوص الحكم) لابن عربي ـ والأصح أن يقال فيه ابن العربي، ولكن جرى عليه العديد من الكتّاب لتمييزه عن ابن العربي المالكي ـ وقد كان محمود طه يهديه لمعارفه، ويعظّم صاحبه فيقول: «الكتاب (فصوص الحكم) للشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي»[٢].

يقول ابن تيمية: «لقد خاطبت بعض الفضلاء مرة بحقيقة مذهبهم، وأنه حقيقة قول فرعون فذكر لي رئيسٌ من رؤسائهم أنه لما دعاه إلى هذا القول وبيّنه، قال: قلت له: هذا قول فرعون، فقال: ونحن على قول فرعون، وما كنت أظن أنهم يقرّون أو يعترفون أنهم على قول فرعون، قال: إنما قلت ذلك استدلالًا فلما قال ذلك، قلت له: مع إقرار الخصم لا يُحتاج إلى بيّنة»[٣].

ثم قال: «وهؤلاء ملاحدة يدّعون أن الولي يأخذ من الله بلا واسطة، والنبي يأخذ بواسطة، وهذا جهل منهم، فإن الولي عليه أن يتبع النبي، ويعرض كل ما له من محادثة وإلهام على ما جاء به النبي فإن وافقه وإلا رده، إذ ليس هو بمعصوم فيما يقضى له»[٤]، وتمادى بهم الأمر إلى القول بإيمان فرعون، على أن «كفر فرعون، وكونه من أهل النار هو مما عُلم بالاضطرار من دين المسلمين، بل ومن دين اليهود والنصارى، فإن أهل الملل الثلاث متفقون على أنه من أعظم الخلق كفرًا، ولهذا لم يذكر الله قصة كافر كما ذكر قصته في

(١) فصوص الحكم، محمد بن علي بن عربي، علق عليه أبو العلا عفيفي، دار الكتاب العربي، بيروت ـ لبنان، ج١، ص٢٠١.
(٢) أسئلة وأجوبة؛ الكتاب الثاني، محمود محمد طه، ص١٧.
(٣) جامع الرسائل، أحمد بن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، دار المدني للنشر والتوزيع، جدة، الطبعة الثانية: ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، ج١، ص٢٠٥.
(٤) جامع الرسائل، أحمد بن تيمية، ج١، ص٢٠٦.

بسطها وتثنيتها، ولا ذكر عن كافر من الكفر أعظم مما كفره واجترائه وكونه أشد الناس عذابًا يوم القيامة»[(١)].

فقد بيّن القرآن كفر فرعون بما لا مجال فيه للتأويل، فقال: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ (١٢) وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ لْئَيْكَةِ أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ (١٣) إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ (١٤)﴾ [ص]، وقال: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ (١٢) وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ (١٣) وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ (١٤)﴾ [ق]، «فأخبر سبحانه أن كل واحد من هؤلاء المذكورين، فرعون وغيره، كذب الرسل كلهم»[(٢)].

ومن الأدلة «على موت فرعون كافرًا سوى ما مر قوله تعالى يخاطب أم موسى: ﴿أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُ﴾ [طه: ٣٩]، تخبر هذه الآية بأن فرعون عدو لله وعدو لرسوله موسى، وخبر الله تعالى لا يدخله نسخ ولا تغيير»[(٣)].

ولا يرد على هذا بقول الجمهوريين بأن هذا اختيار ابن تيمية، وأنه «مما اشتهر به عداوته للصوفية وهجومه عليهم»[(٤)]، بما يظهر التعصب للجهل، فالعقل المنفتح للبحث المعرفي يحدد أن العبرة بأدلته وكلامه، وكلام مخالفه وبيانه، لا أنه تكلم في منتسب إلى التصوّف! وكأن مصدر الكلام ـ على تسليم صحة انتسابه ـ هو دليل صحته، ومخالف الكلام قادح في كل من انتسب إلى طريق المبطل، إنه تحويل للبحث المعرفي إلى حَميّة جاهلية.

---

(١) جامع الرسائل، أحمد بن تيمية، ج١، ص٢٠٣، ٢٠٤.

(٢) جامع الرسائل، أحمد بن تيمية، ج١، ص٢٠٩.

(٣) بدع التفاسير، عبد الله بن محمد الصديق الغماري، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، الطبعة الثانية: ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، ص٦٤.

(٤) اسمهم الوهابية وليس اسمهم أنصار السنة، الإخوان الجمهوريون، فصل: ابن تيمية ٦٦١ - ٧٢٨هـ، على موقع: https://www.alfikra.org

ومع ذلك فما قالوه في ابن تيمية باطل، يقول ابن تيمية في الصوفية: «**الصواب أنهم مجتهدون في طاعة الله، كما اجتهد غيرهم من أهل طاعة الله، ففيهم السابق المقرّب بحسب اجتهاده**، وفيهم المقتصد الذي هو من أهل اليمين، وفي كل من الصنفين من قد يجتهد فيخطئ، وفيهم من يذنب فيتوب، أو لا يتوب.

ومن المنتسبين إليهم من هو ظالم لنفسه، عاصٍ لربه.

وقد انتسب إليهم طوائف من أهل البدع والزندقة، ولكن عند المحققين من أهل التصوّف ليسوا منهم: كالحلّاج مثلًا، فإن أكثر مشايخ الطريق أنكروه وأخرجوه من الطريق، مثل الجنيد بن محمد سيد الطائفة وغيره، كما ذكر ذلك الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي في (طبقات الصوفية)، وذكره الخطيب أبو بكر الخطيب في تاريخ بغداد»[١].

فأين هذا من القول بأنه يعادي الصوفية ويهاجمهم؟ ومع ذلك فإن المسألة ليست مقالة خلافية تدور بين راجح ومرجوح، بل بين صواب ومرذول، ولذا فإن علاء الدين البخاري الحنفي، وهو من أشد خصوم ابن تيمية، وهو من «**الذين نشروا التصوف في بلاد الهند، وهو الذي يقدّم مصنفات الغزالي على غيرها**، ويحث طلابه على دراستها»[٢]، قال البخاري الحنفي: «**لا خلاف لأحد من المسلمين في أن إيمان فرعون حال الغرق غير مقبول، وأنه مات كافرًا**»[٣].

ورغم هذا فإن المتعصبين للقائلين بذلك بقوا يرددون القول بإيمان

---

(١) مجموع فتاوى أحمد بن تيمية، ج١١، ص١٨.

(٢) من دراسة محمد بن إبراهيم العوضي لكتاب فاضحة الملحدين وناصحة الموحدين، علاء الدين محمد البخاري الحنفي، ج١، ص٤٦.

(٣) فاضحة الملحدين وناصحة الموحدين، علاء الدين محمد البخاري الحنفي، ج٢، ص١٨٠.

فرعون، فصنف الدواني كتابًا ينتصر فيه لابن عربي، وسلك فيه من التأويل مسالك التعسّف والتكلّف ما بلغ فيه الغاية القصوى، لدفع دلالات النصوص حتى يسلم له قول ابن عربي، وقال فيه كالعادة: لم تفهموه، فهو برأيه: «**لا يصل إلى كنه كلامه أساطين العلماء، ونحارير الفضلاء وعجزت أفكارهم عن فهم أسراره قدس سره**»(١).

فحاول التهوين من شأن المسألة، حيث زعم أن «علماء الإسلام، وأهل الولاية والاحتشام، قد اختلفوا في إيمان فرعون موسى عليه السلام»(٢)، فماذا صنع بقوله تعالى عن فرعون: ﴿فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْآخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ ۝٢٥﴾ [النازعات] وفيها أن فرعون في خزي دنيا وآخرة؟ قال: «وأما قوله تعالى ﴿فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْآخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ﴾ **فإن النكال أتى بمعنى القيد، وأتى بمعنى العذاب، وأي قيد أعظم لمن ظلم العباد في الدنيا من الغرق، وفي الآخرة (يقدم قومه) من الفضيحة بين الخلائق!**»(٣).

فأي فضيحة تلك لفرعون وقد زعم ابن عربي أنه آمن **وقبض مطهرًا ليس فيه شيء من الخبث، وقبض قبل اقتراف أي إثم**؟ لم يستطع الدواني رغم استماتته في الدفاع عن قول ابن عربي أن يدافع عنه كما هو، فحاول تهوين الأمر، بحمله على المؤمن العاصي! فقال: «ولئن سلّم دخول النار **فهو بسبب ظلمه العباد**»(٤)، ولذلك «التوبيخ المأخوذ من الآية لدلالته لا يضرنا فإنه كم

---

(١) إيمان فرعون لجلال الدين الدواني، والرد عليه لعلي بن سلطان بن محمد القاري، حققه: ابن الخطيب، المطبعة المصرية ومكتبتها، الطبعة الأولى: ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٤م، ص٢٣.

(٢) إيمان فرعون لجلال الدين الدواني، والرد عليه لعلي بن سلطان بن محمد القاري، ص١٢، ١٣.

(٣) إيمان فرعون لجلال الدين الدواني، والرد عليه لعلي بن سلطان بن محمد القاري، ص٢٢، ٢٣.

(٤) إيمان فرعون لجلال الدين الدواني، والرد عليه لعلي بن سلطان بن محمد القاري، ص٢٢.

من توبيخ جاء في القرآن في حق المؤمن العاصي»[١]، وهذا يظهر أي مضايق ألجأ إليها نفسه، إذ القول بأن فرعون آمن بعد كفره، يجعله لا يؤاخذ بما عصى به قبل الإيمان، إن كان تاب، لا أن الله يقبل إيمانه بعد المعاصي ثم يحاسبه على الكبائر التي كانت قبل الإيمان!

وقد انبرى للرد عليه علي قاري، في رسالة بعنوان (فرُّ العَونُ من مدّعي إيمان فرعون)، قال فيها: «الاختلاف الذي ذكره ليس له أصلٌ أصلًا، ولا نسب هذا القول إلا لابن العربي وصلًا وفصلًا، فهذا بهتان عظيم، وسبب لخراب الدين القويم»[٢]، وهو قول «باطل بالكتاب والسنة، وإجماع الأمة»[٣]، أي قبل حدوث هذه المقالة، ورد على زعمه أن التوبيخ جاء في حق المؤمن العاصي كذلك بقوله: «بينهما بون بيّن، وفرق هيّن ليّن، فإن فرعون وبّخ على استمرار كفره، إلى أوان يأسه من عمره، بخلاف المؤمن، فإنه لو وبخ على عصيانه، لحرص على بقاء إيمانه»[٤]، وساق الأدلة على كفر فرعون ومنها ﴿وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَٰنُ لُوطٍ ﴿١٣﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ﴾ [ق] فهذا نص صريح ودليل صحيح، على كفر فرعون اللئيم وتخليده في عذاب الجحيم، حيث أخبر سبحانه بعد موته على تكذيبه المرسلين، وإدراجه مع المكذبين، ثم أكد تعالى بقوله ﴿كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ﴾ فإن تكذيب موسى كتكذيب كل الكل، ثم بيّن تحقق الوعيد، والعذاب الشديد حاصل وواقع بهم»[٥].

«والمقصود هنا أن هؤلاء الاتحادية من أتباع (فصوص الحكم) وصاحب

(١) إيمان فرعون لجلال الدين الدواني، والرد عليه لعلي بن سلطان بن محمد القاري، ص١٨.
(٢) إيمان فرعون لجلال الدين الدواني، والرد عليه لعلي بن سلطان بن محمد القاري، ص٣٥.
(٣) إيمان فرعون لجلال الدين الدواني، والرد عليه لعلي بن سلطان بن محمد القاري، ص٢٦.
(٤) إيمان فرعون لجلال الدين الدواني، والرد عليه لعلي بن سلطان بن محمد القاري، ص٥٨.
(٥) إيمان فرعون لجلال الدين الدواني، والرد عليه لعلي بن سلطان بن محمد القاري، ص٥٩.

(الفتوحات المكية) ونحوهم، وهم الذين يعظّمون فرعون، ويدّعون أنه مات مؤمنًا وأن تغريقه كان بمنزلة غسل الكافر إذا أسلم، ويقولون: ليس في القرآن ما يدل على كفره، ويحتجّون على إيمانه بقوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدۡرَكَهُ ٱلۡغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ [يونس: ٩٠]، وتمام القصة يبيّن ضلالهم، فإنه قال سبحانه: ﴿ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ عَصَيۡتَ قَبۡلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ۝٩١﴾ [يونس]، وهذا استفهام إنكار وذم ولو كان إيمانه صحيحًا مقبولًا لما قيل له ذلك.

وقد قال موسى عليه السلام: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيۡتَ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمۡوَٰلًا فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَۖ رَبَّنَا ٱطۡمِسۡ عَلَىٰٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ وَٱشۡدُدۡ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُواْ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ ۝٨٨﴾ [يونس]، قال الله تعالى: ﴿قَدۡ أُجِيبَت دَّعۡوَتُكُمَا﴾ [يونس: ٨٩]، فاستجاب الله دعوة موسى وهارون، فإن موسى كان يدعو، وهارون يؤمّن أن فرعون وملأه لا يؤمنون حتى يروا العذاب الأليم»[١].

«وهؤلاء مع تعظيمهم لفرعون يشاركون في حقيقة كفره، وإن كانوا مفارقين له من جهة أخرى؛ فإن عندهم: ما ثَم موجود إلا الله أصلًا، ولا يمكن أحد أن يتخذ إلهًا غيره، لأنه أي شيء عبدَ العابدُ من الأوثان والأصنام والشياطين، فليس عندهم غير الله أصلًا، وهل يقال: هي الله؟ لهم في ذلك قولان»[٢]، ويظهر اختيار محمود طه أنه مع التصريح بهذا، فلا كفر عنده في القول بأن المسيح هو الله.

فماذا تعني كلمة (الله) عند محمود طه وأتباعه الذي يثبتونه، حتى تتضح الصورة، فإن «إثبات الشيء فرع تصوره، فمن لم يتصور ما يثبته كيف يجوز أن

(١) جامع الرسائل، أحمد بن تيمية، ج١، ص٢٠٧، ٢٠٨.
(٢) جامع الرسائل، أحمد بن تيمية، ج١، ص٢١٢.

يثبته؟!»[١] إن محمود طه يسارع بالقول: «**الله الذي يجل ويتعالى أن يكون له معنى، ولكنه مما يلي الخلق، هو متعلق الصفات ومما يلي الذات إن هو إلا إشارة إلى الذات الساذج، الصرف التي تجل عن أن تسمى أو أن توصف**»[٢].

فالله في حقيقته ليس له معنى مجرد إشارة إلى ذات ساذجة، لا تسمى ولا توصف، فشيء لا يوصل ولا يسمى، أنى له أن يُعرف، ويقال هنا بأن هذا يُقلب عليه، فقولك لا يوصف هو وصف له، وقولك: لا يعرف، هو وصف كذلك، ولكن لعله لم يقصد هذا إلا أنه لم يحسن أن يعبّر بعبارة فلسفية أدق كما فعل من سبقه إلى هذا النفي أمثال ابن سينا[٣]، فهم يقولون: لا يوصف إلا بالصفات السلبية، والإضافية، فلا يوصف عندهم إلا بالصفات السلبية، أي بالنفي فحسب: لا يعرف، لا يوصف، أو الإضافية كالقول: ناقة الله، بيت الله، أمة الله، من باب التشريف لا صفة قائمة به، أو ينصر بعضهم الاكتفاء بالصمت، ولذا نصر العديد من متكلمي النصارى الصمت فلا يتكلمون عن المطلق المجهول هذا، أو التعبير عنه بالموسيقى فحسب لأن الموسيقى لا كلام فيها، كما بُسط ذلك في كتاب (نظرية ابن تيمية في المعرفة والوجود).

الواقع أنه قصد عدم الوصف مطلقًا، حيث قال: «الذات الصرفة المطلقة فوق القرآن المرقوم، **لأنها فوق العبارة، وفوق الإشارة**»[٤]، فمتى كانت بنظره فوق العبارة لم يكن ممكنًا أن يصفها بأنها ذات، كما فعل ولا ساذج، ولا

---

(١) قاعدة في أن كل دليل عقلي يحتج به المبتدع ففيه دليل على بطلان قوله، أحمد بن تيمية، ص ٦٥.

(٢) رسالة الصلاة، محمود محمد طه، ص٩٠.

(٣) انظر: جامع البدائع، مجموعة رسائل لابن سينا، وعمر الخيام، وصدقة بن علي، والموقي، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى: ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م، ص٢٠.

(٤) القرآن ومصطفى محمود والفهم العصري، محمود محمد طه، ص٤٦.

الصرف، ولا ينفي عنها تسمية ولا صفة، حيث إنه يسميها، ويستعمل فيها العبارات، وهي بزعمه فوق العبارات، فما ثَم إلا الصمت، أو الحل الذي قدّمه بعض النصارى وهو التعبير عنه بالعزف الموسيقي فحسب!

وهؤلاء عطلوا صفات الله، بحجة التنزيه حتى جعلوه تجريدًا ذهنيًا كليًا، وتحقيق وجوده إنما هو في الأذهان لا الأعيان، ثم لما أرادوا التنسك والتعبد، احتاجوا إلى تعيينه، وعلموا أن الكليّ لا يعيّن، فجعلوا كل الموجودات هي الله، فهم في العمل يعبدون كل شيء، وفي الجانب النظري لا يثبتون أي شيء، ولذا قال ابن عربي:

«**اعلم أن الأمور الكلية وإن لم يكن لها وجود في عينها، فهي معقولة** معلومة بلا شك في الذهن، فهي باطنة لا تزال عن الوجود العيني، ولها الحكم والأثر في كل ما له وجود عيني، **بل هو عينها، لا غيرها، أعني أعيان الموجودات العينية**»[١]، وهذا خلط لما في الأذهان بما في الأعيان، ومبني على ادعائهم بأن وجود الله كلي خارج الذهن، وهذا لو طرد ما بقي حقيقة قائمة بنفسها من المعيّنات.

ومتى ما خلطوا بين وجود المخلوقات وبين الله باعتباره موجودًا معيّنًا، فيلزم منه الخلط حتى في المخلوقات، فلا يعود من حقيقة ثابتة في الوجود، فـ «يلزم اتحاد الوجود الواحد بالشخص، بذوات كثيرة، وحينئذٍ يلزم أن تكون الأرض عين السماء، والسماء عين الماء، والهواء البشر، والبشر عين الشجر، والشجر عين الحمار، والحمار عين الإنسان، والإنسان عين الملَك، والملَك عين إبليس»[٢]، وهذا على صعيد الشريعة يلزم منه إباحة كل المحرمات، فلا

---

(١) فصوص الحكم، محمد بن علي بن عربي، ج١، ص٥١.

(٢) فاضحة الملحدين وناصحة الموحدين، علاء الدين محمد البخاري الحنفي، دراسة وتحقيق: محمد بن إبراهيم العوضي، رسالة ماجستير، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، هـ، ج٢، ص٩٥، ٩٦، باختصار.

وجه لتحريم الخمر وهي عين الماء! وسيأتي موقفهم من مسألة المحرمات.

ولما جعلوا الله بلا صفة في حقيقته، حيث قال محمود طه: «الله في إطلاقه تبارك وتعالى فوق الأسماء والصفات، وهو منزه عن الأسماء»(١)، فإنهم سدّوا على أنفسهم أي طريق لإثباته في العقل، فأنى للعقل أن يعرف شيئًا لا يكون له اسم ولا صفة، وهو مطلق لا يشار إليه، فما كان لهم في دعواهم وجوده سوى الذوق، ومن هذا الباب شاركوا مقالة كانط «لما رفع البحث في الله فوق القدرة العقلية، سد على نفسه باب الاستدلال العقلي عليه، فمنع عن العقل المحض الاستدلال على إثبات الله»(٢)، فماذا بقي غير الذوق، وغير زعم أنه المطلق يتنزل إلى المقيد حتى يمكن إدراكه عقلًا بعد تلبسه بالأسماء والصفات كما زعم محمود طه.

ولكن محمود لما احتاج أن يعيّن ذلك المطلق قال بتنزلاته، وهي عبارة ملطّفة عن وحدة الوجود، ولذا يقول محمود: «كلمة الله في القرآن في المعنى القريب على الإنسان الكامل وفي المعنى البعيد على الله تبارك وتعالى في إطلاقه»(٣)، فالله هو الإنسان الكامل، هذا هو المعنى القريب عند محمود، ذلك الظاهر من القرآن، أما المعنى البعيد فهو تلك الذات غير المعروفة، وإنَّ «كل شيء يتعلق بالذات الصرفة فهو فوق التصوّر»(٤).

يعني قوله تعالى: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾ [طه: ١٤] هو أمر بعبادة الإنسان الكامل، وأنه لا إله إلا الإنسان الكامل! وقوله: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ

---

(١) أسئلة وأجوبة، محمود محمد طه، ص١٩.

(٢) موقف ابن تيمية من المعرفة القبليّة وشيءٌ من آثاره الفلسفية، يوسف سمرين، جامعة القدس، فلسطين، ١٤٣٩هـ/٢٠١٧م، ص١٨، بتصرف.

(٣) أسئلة وأجوبة، محمود محمد طه، ص١٩.

(٤) أسئلة وأجوبة، محمود محمد طه، ص١٩.

﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ۝٤﴾ [الإخلاص] أي الإنسان الكامل ليس له كفوًا أحد، ولا حتى الذات التي لا تعرف ولا توصف إلى آخر ما ينفونه حولها؟ إنهم حتى لا يقعوا بهذا يقولون بل هذا الإنسان الكامل هو الله في تنزلاته، والوجود هو الله.

وليس الإنكار على هؤلاء قول فرقة من فرق المسلمين، بل هو قولهم جميعًا، وقد كثر الإنكار عليهم من الصوفية، ففيهم يقول الروّاس: «مما لا يلتفت إليه التشدق بما أبهمه وأوهمه المبتدعة أهل الوحدة المطلقة، من الأباطيل الملفقة، والأناسيج الممزقة، والتراكيب الفاسدة، والتأويلات الباردة، وكلما لفقوه وانتحلوه باطل محض مردود في كل كتاب لله أنزل على نبي لله، فكل فلتة من فلتات ألسن القائلين بالوحدة المطلقة فيها قطيعة وسقوط من عين الله ﷻ»[1].

وقد كان العديد من الصوفية ينصر ما يسمى بالفناء عن شهود غير الله، فهؤلاء لا يقولون بأنه لا يوجد إلا الله، بل يسلمون بأن المخلوقات موجودة وأنها غير الله، لكنهم يفنون عن ملاحظتها، ويبتعدون عن مشاهدتها، حتى إنهم يتركون ملاحظة أنفسهم، ويغيب بعضهم عن عقله فتصدر منه عبارات تصنّف على أنها شطحات، فالتقطها القائلون بوحدة الوجود، ونفخوا في نار تضخيم شأنها، حتى أوهموا أتباعهم بأن كثيرًا من الصوفية على قولهم، وفي ذلك يقول الرواس: «سبب هذه المزالق، وارتكاب هذه البوائق الانكباب على كلمات القوم أصحاب الاستغراق الذين انقطعوا عنهم وعن الأكوان إلى الله تعالى، فأوهموا بما أبهموا من الكلمات عقول أهل النقص وأوقعوا بخواطرهم هجس الوحدة»[2].

---

(١) بوارق الحقائق، محمد مهدي بهاء الدين الصيادي الرفاعي/الروّاس، طبعها: إبراهيم الرفاعي، الطبعة الأولى: ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ص١٦٧، باختصار.

(٢) بوارق الحقائق، محمد مهدي بهاء الدين الصيادي الرفاعي/الروّاس، ص١٦٧، ١٦٨.

وهذا يظهر ما في هذا الطريق من وعورة، وما في العبارات المجملة من خطورة، والناس في غنية عن تغييب عقولهم، ثم الاعتذار عنهم بأنهم غابوا ورفع عنهم التكليف حينها، إنهم في غنية عن سلوك طريق لا يؤدي إلا إلى القول بأن الله خالق، وهو ما يقول به حتى مشركو العرب من قبل.

إنهم لا يلحظون المخلوقات وإن كانوا يثبتونها، ويميزون بينها وبين الله، ويتمادى بهم الأمر إلى حد غياب الأذهان، والتكلم بالمجملات، أو بالتصريح ثم الاعتذار عنهم بأنها شطحة سكران غائب عن الوعي! فما أحوج الناس إلى من يوقظ عقولها لا من يغيبها، وقد وصف الله عباده المؤمنين بقوله: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ ﴿٢٣﴾﴾ [الزمر]، فأين هذا من تغييب العقول، والفناء عن ملاحظة من حوله؟

وقد بيّن القرآن صلاة الخوف في الحرب، فقال: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمۡ فَأَقَمۡتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلۡتَقُمۡ طَآئِفَةٞ مِّنۡهُم مَّعَكَ وَلۡيَأۡخُذُوٓاْ أَسۡلِحَتَهُمۡۖ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلۡيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمۡ وَلۡتَأۡتِ طَآئِفَةٌ أُخۡرَىٰ لَمۡ يُصَلُّواْ فَلۡيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلۡيَأۡخُذُواْ حِذۡرَهُمۡ وَأَسۡلِحَتَهُمۡۗ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ تَغۡفُلُونَ عَنۡ أَسۡلِحَتِكُمۡ وَأَمۡتِعَتِكُمۡ فَيَمِيلُونَ عَلَيۡكُم مَّيۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ إِن كَانَ بِكُمۡ أَذٗى مِّن مَّطَرٍ أَوۡ كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓاْ أَسۡلِحَتَكُمۡۖ وَخُذُواْ حِذۡرَكُمۡۗ﴾ [النساء: ١٠٢]، فالمأموم يتابع إمامه، يسمع صوته، ولا يغيب عنه، وأي جماعة هذه إن كان يفنى عمن حوله حتى يصلي كأنه منفرد؟ وأمرهم بأخذ العدة، والحذر، فأي حذر يكون إن كانوا يغيبون عن أسلحتهم، وعن عدوهم، وعن أنفسهم؟! ولا يضاهي أحد السنة بشيء إلا نقص من اتباعه بقدر ابتداعه.

حول ادعاء الألوهية

وحتى لا يقول الجمهوريون: إنكم تفسرون كلامنا بما لا نقصده، شأن كل معارضٍ لنا في العالم إلى آخر كلامهم في ذلك، فإن الإخوان الجمهوريين أصدروا كتابًا بعنوان: (عقيدة المسلمين اليوم!!) وعلامتا التعجب منهم، وكانت الطبعة الثانية في فبراير ١٩٨٣م، جمادى الأولى ١٤٠٣هـ، جاء فيه: «**سيكون حديثنا عن فساد عقيدة المسلمين اليوم، وعن تصحيح هذا الفساد**»[(١)]، فمن فساد عقيدة المسلمين بنظرهم ما عبروا عنه بقولهم: «من الأوهام الشائعة عند المسلمين اليوم أنّ **الوجود متعدّد**، أو هو ثنائية، **تتمثل في وجود خالق، ومخلوق** متغايرين، وهذا التصور الخاطئ، **هو من دقائق فساد العقيدة، إذ إنّه يجعل للخلق وجوداً بازاء وجود الله**، ومقتضى التوحيد هو انّه **ليس في الوجود الا الله**»[(٢)].

فلا يوجد خالق ومخلوق متغايرين، وهذا يعني «أن وجود الكائنات حتى وجود الخبائث والقاذورات هي الله تعالى ـ تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرًا ـ وأن ذوات الممكنات من الأرض والسماوات وما بينهما من الكائنات على ما ذهب إليه السوفسطائية سراب وخيال لا حقيقة لها، ويروجون تلك السفسطة النافية لدين الإسلام، ولزوم الأحكام بإحالته على الكشف، ويتفوهون بأن درجة الكشف وراء العقل»[(٣)]، ثم يقولون: «**الانسان الكامل الذي أقامه الله**

---

(١) عقيدة المسلمين اليوم!!، فصل: العقيدة مستويان، على موقع:
https://www.alfikra.org

(٢) عقيدة المسلمين اليوم!!، فصل: العبودية هي التكليف الاساسي، على موقع:
https://www.alfikra.org

(٣) فاضحة الملحدين وناصحة الموحدين، علاء الدين محمد البخاري الحنفي، ج٢، ص١١-١٣.

خليفة عنه في جميع العوالم، وأصبغ عليه صفاته، وأسمائه حتى اسم الجلالة»[١]، فهذا الشخص يسمونه الله، وتحت سؤال: ما معنى أن يكون الإنسان الله؟ يجيبون: «إنّما نعني بذلك أن يبلغ الانسان مرتبة الإنسان الكامل حيث يحقّق الحقيقة المحمدية، فيحمل اسم الله الأعظم، وهي مرتبة لا تنبغي إلا لواحد، هو خليفة الذات على الخلائق»[٢].

فكيف سيوجد هذا الشخص الذي هو الإنسان الكامل، ويطلقون عليه (الله)؟ «هذا حكم الوقت، ولقد ختمت النبوة (رسالة الوحي) ولمّا تختم رسالة الولاية (رسالة العلم اللّدني بغير واسطة الوحي)، وانّما يكون ختمها بمجيء خاتم الولاية ـ المسيح المحمدي، وقد جاء الصوفية بين عهدين، عهد الولاية المحمّدية، وعهد الولاية الأحمدية، فاعدوا الأرض لمجيء خاتم الولاية»[٣]، يأتي هذا «بعد أنّ أدّت الطرق الصوفية دورها الجليل، كاملاً، في إعداد الوقت لختم الولاية، ولذلك دعونا مشايخ الطرق منذ عام ١٩٦٤ إلى طريق محمد»[٤].

إن هذا الإنسان الكامل لم يكن سوى الحق بنظرهم، هو الله، فبأي معنى يفهم كلامهم بعدها: «إن فكرة الجمهوريين هي الوارثة للتصوف اليوم، فهي الطريق النبوي الصرف، بلا زيادة ولا نقصان، فالمدد اليوم لا يوجد في غيرها أبدًا!! وهي هي الدين العائد»[٥]، و«ينتهي كمال العلم الى الانسان الكامل الذي يستمد علمه مكافحة، من العلم المطلق لدى الذات المطلقة»[٦]، إذا

---

(١) عقيدة المسلمين اليوم!!، فصل: مقام الاسم (الله)، والذات، على موقع: https://www.alfikra.org

(٢) عقيدة المسلمين اليوم!!، خاتمة، على موقع: https://www.alfikra.org

(٣) عقيدة المسلمين اليوم!!، خاتمة، على موقع: .https://www.alfikra.org

(٤) عقيدة المسلمين اليوم!!، خاتمة، على موقع: https://www.alfikra.org

(٥) الفكرة الجمهورية هي الإسلام، الإخوان الجمهوريون، ص١١، ١٢.

(٦) عقيدة المسلمين اليوم!!، خاتمة، على موقع: .https://www.alfikra.org

وضع في إطاره قول محمود طه: «أما أنا فقد بدأت بالجانب التطبيقي في العبادة بإحياء السنة، قولًا وعملًا، وسلوكًا، منتظرًا موعود الله، حيث قال: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ فلما جرى على لساني، وقلمي، وسيرتي ما علمني الله من حقائق دينه، ظنه الناس ليس من الإسلام»[(١)]، ويقول: «إن ما نحدّثكم به هو مكنون العلم، وأنتم الآن إنما تُدعون إلى الإسلام، ولأول مرة تقع هذه الدعوة في وقتها»[(٢)]، لم يكن محمود طه مع كل هذا بحاجة إلى أن يقول لأتباعه: أنا ربكم الأعلى، وهو الذي يقول لهم إن القول بأن المسيح هو الله من الحقائق العرفانية، وأن الإنسان الكامل هو الله.

وبهذا يتضح لماذا كان كل ذلك الغزل بأنفسهم، على أن علومهم لأول مرة، أفعالهم لأول مرة، وأن الرسالة الثانية قد بدأت، فلا غرابة أن تكون بداية كتاب محمود طه تتحدث عن «كتاب جديد من جميع الوجوه، وهو إلى جدته غريب كل الغرابة، ولا غرو، ذلك بأنه بشارة بعودة الإسلام من جديد»[(٣)].

وبقي محمود طه يتحرك في إطار ما اطلع عليه من كلام ابن عربي الذي يقول: «الأمر الخالق المخلوق، والأمر المخلوق الخالق، كل ذلك من عين واحدة، لا، بل هو العين الواحدة، وهو العيون الكثيرة، ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ [النساء: ١]، فما نكح سوى نفسه، فمنه الصاحبة والولد والأمر واحد في التعدد»[(٤)]، فما ثم عندهم إلا الله، فهو الذابح والمذبوح، والناكح والمنكوح، ويغرم محمود طه بمثل هذه التمثيل المتعلق بالنكاح، وبالصورة الجنسية فيه،

---

(١) الكتاب الأول من سلسلة رسائل ومقالات، بيني وبين الدكتور الفاضل مصطفى محمود، على موقع: https://www.alfikra.org

(٢) الإسلام وإنسانية القرن العشرين، محمود محمد طه، ص٧.

(٣) الرسالة الثانية من الإسلام، ص٨.

(٤) فصوص الحكم، ابن عربي، ص٧٨، باختصار.

ليعيد صياغته بقوله: «الإنسان الكامل زوج الله، لأنه إنما هو في مقام العبودية، ومقام العبودية مقام انفعال، في حين مقام الربوبية مقام فعل»[(١)].

ومن فحوى هذا كانت أناشيدهم التي ينشدونها لأول مرة في التاريخ بزعمهم، وفيها:

بتنا وأصبحنا نراك فليلنا من نور وجهك يا مليح نهارُ
ولقد نزلت فكنت جملة كوننا وتفككت عنا بك الأزرارُ[(٢)]

فليس فيما قاله محمود طه أي جديد، لقد كان عاجزًا عن الابتكار، فكلامه قيل مثله من قبل، ورد عليه علماء الإسلام، وزيفوه، إذ «ليس في خطاب الله المطلق تنزيل أحد منزلة نفسه في الأفعال، ولا تنزيل نفسه في الأفعال والأوصاف منزلتهم، بل هو إله واحد لا شريك له، وكل من في السماوات والأرض آتيه عبدًا ﴿لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾﴾ [مريم].

ومن قال: إن الرب منزل المخلوق منزلة نفسه في الأفعال، أو ينزل هو منزلة المخلوق في الأفعال والأوصاف فقد زعم أن الله سبحانه يجعل له ندًا، وأنه يقيم المخلوق مقامه في الخلق والرزق والإحياء والإماتة وإجابة الدعاء، وكونه معبودًا، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا قال تعالى: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾﴾ [النحل]»[(٣)].

لم يكن ما يقوله محمود طه ممثلًا لكل من انتسب إلى التصوف، إنما هو

---

(١) محمود محمد طه يدعو إلى تطوير شريعة الأحوال الشخصية، الطبعة الثالثة: هـ-م، ص٥٩.

(٢) أناشيد في طريق الرجعى، الإخوان الجمهوريون، الطبعة الأولى: ١٩٧٦م/١٣٩٦هـ، ص٣١، وهي لعبد الغني النابلسي.

(٣) الاستغاثة في الرد على البكري، أحمد بن تيمية، ص١٢٦.

قول غلاة منهم، وإلا فهذا عبد القادر الجيلاني، يرفض هذا تمامًا، فيقول في وصف الله ﷻ: «**وهو بائن من خلقه، لا يخلو من علمه مكان، ولا يجوز وصفه بأنه في كل مكان، بل يقال: إنه في السماء على العرش**، كما قال جل ثناؤه: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه]، وقوله: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ﴾ [الأعراف: ٥٤]، وقال: ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ﴾ [فاطر: ١٠]، والنبي ﷺ حكم بإسلام الأمَة، لما قال لها: أين الله؟ فأشارت إلى السماء»[١].

(١) كتاب أصول الدين، عبد القادر الجيلاني، بحث وتحقيق: محمد فاضل جيلاني الحسني، مركز الجيلاني للبحوث العِلمية، إسطنبول، الطبعة الثانية: ٢٠١٣م، ص١١١.

موقفه من القرآن

تقدم قول محمود طه: إن الله في المعنى البعيد بنظره في القرآن يطلق على «الذات الساذج، الصرف التي تجل عن أن تسمى أو أن توصف»[١]، على أن الكلاباذي ينقل عن الصوفية أنهم «أجمعوا أن لله صفات هو بها موصوف من العلم والقدرة والقوة والعز والحكمة والكبرياء والقِدم والحياة والإرادة والمشيئة والكلام»[٢]، وقد اشتهرت مسألة القرآن بين الناس، وهي فرع على مبحث الصفات الإلهية، وينقل الكلاباذي عن الصوفية: «أجمعوا أن القرآن كلام الله تعالى حقيقة وأنه ليس بمخلوق»[٣]، فماذا يقول محمود طه وهو المتمسح باسم التصوف؟

قال محمود طه جوابًا عن سؤال وجه إليه: «هل القرآن مخلوق»؟

«المخلوق مظهر الخالق، ومظهر الخالق يشمل أحمد في قمة الهرم، وإبليس في قاعدة الهرم، فهل القرآن مخلوق بهذا المعنى؟ الجواب: نعم ولا، لأن القرآن مخلوق بالمعنى الذي به أحمد مخلوق، ولا، لأن القرآن ليس مخلوقًا بالمعنى الذي به إبليس مخلوق، وقد قلنا: إن أحمد حق، وإبليس باطل، والله هو خالق الحق والباطل، أو قل: إن الحق والباطل هما مظهران لله، لله في مظهر الباطل إرادة، وله في مظهر الحق رضا»[٤].

---

(١) رسالة الصلاة، محمود محمد طه، ص٩٠.

(٢) التَعرّف لمذهب أهل التصوّف، محمد بن إسحق البخاري الكلاباذي، مكتبة الخانجي - القاهرة، الطبعة الثانية: ١٩٩٤م، ص١٤.

(٣) التَعرّف لمذهب أهل التصوّف، محمد بن إسحق البخاري الكلاباذي، ص١٨.

(٤) أسئلة وأجوبة، محمود محمد طه، ص٧٧، باختصار يسير.

فهذا الرجل يبدو أنه استثقل أن يقول: لا أدري، فهجم على السؤال ليقول أي شيء يسعفه به عقله الباطن فقال: نعم ولا، فبهذا يتصوّر أنه يظهر وكأنه لا ينحاز إلى طرف، فإن كان الجواب بـ (لا) خاطئًا فقد عاجله بقوله: نعم معه للاحتياط! وقد يعتذر عنه تابع له لم يفهمه ليقول هذا الكلام عميق، إنه النفي ونفي النفي، كما فعل هيجل!

فيقال: هو قال بأن أحمد مخلوق، وإبليس مخلوق، فهنا يدور الكلام عن مخلوقين، وكون الأول مخلوق رضي عنه، والثاني سخط عليه، لا يخرجهما عن كونهما مخلوقين، فأي شيء يقال فيه هو غير مخلوق كإبليس، ومخلوق كأحمد؟ فإن المخلوق ممكن الوجود، ولا تنتفي صفة المخلوق عن مخلوق رضي الله عنه، ولا عن مخلوق سخط عليه، فعلى أي أساس يقول هو مخلوق ولا مخلوق؟! على أي حال القرآن بنظره مخلوق وليس مخلوقًا، فما هو القرآن عنده؟ يقول محمد طه: «القرآن في حقيقته هو الله»[1]! على هذا فالله عنده مخلوق وليس مخلوقًا!

وقوله القرآن هو الله، يماثل ما ورد في إنجيل يوحنا: «فِي الْبَدْءِ كَانَ الْكَلِمَةُ، وَالْكَلِمَةُ كَانَ عِنْدَ اللهِ، وَكَانَ الْكَلِمَةُ اللهَ» [يوحنا: ١]، على أن القرآن كلام الله، أي صفة لله، هذه الصفة تقوم به، والله ليس مخلوقًا، ولا أي صفة من صفاته، لكن لا عجب من قوله هذا فالوجود كله عنده هو الله، ولنفي الثنائية بين خالق ومخلوق، كانت هذه هي نتائج كلامه، ولن تتوقف محاولات محمود طه في التقرب إلى النصرانية.

---

(١) أسئلة وأجوبة، محمود محمد طه، ص٧٩.

موقفه من الرسالة

قوم هذا هو موقفهم في الله وأسمائه وصفاته، فما الذي يليق بمقالاتهم في مسألة النبوات والرسالة؟ لقد صرّح محمود طه بأن «**النبي في ولايته أكبر منه في نبوته**، ذلك أنه في النبوة **يتلقى عن الله بواسطة جبريل**، ولكنه في **ولايته يتلقى عن الله كفاحًا**، **وقد رفعت الواسطة بين الرب والعبد**»[1]، وهذا ليمهد لأتباعه أنهم متى سلّموا له بالولاية فهو يأخذ عن الله كفاحًا وهي منزلة أعلى من النبوة بمجردها.

ليس منتظرًا ممن يسلّم بهذا أن يطالبه أتباعه بعدها بأي دليل على قول جزئي، وقد سلّم بهذا الأصل، فمتى سلّمت عقلك لرجل يقول: إن علمه عن الله كفاحًا، لن تقول له: أعطني دليلًا من الشرع على كلامك! فهو يأخذ عمن أنزل الشرع، وبهذا يسهل عليه أن يتجاوز كل الأدلة عن النبي ﷺ، ما له وللنقل؟ وقد أخذ من الله مباشرة، وهل يلتفت من يصل إلى العين إلى السواقي؟

لقد ساء الجمهوريين ما جعلوه في خانة الافتراء على محمود طه، حيث قالوا: «قال علماء رابطة العالم الإسلامي في خطابهم الهزيل: إن الأستاذ محمد طه **أنكر ختم الرسالة**، هكذا ألقوها عارية ومن غير أن يوردوا شيئًا من أقوال الأستاذ، **إمعانًا منهم في التضليل**»[2]، فأرادوا الرد على هذا القول الذي

---

(١) محمود محمد طه يدعو إلى طريق محمد، ص٨.

(٢) بيننا وبين الشؤون الدينية وأساتذتها من أزهريين ومن سعوديين، الإخوان الجمهوريون، ص١٣، باختصار يسير.

جعلوه من التضليل، فقالوا: «**قولنا بعدم ختم الرسالة فإن هذا حق غفل عنه كل الناس، فدرجوا على ما ألفوا من غير هدى**»[١]، فهل يمكن أن يجد المرء ما يستحق أن يُدرَج في كتب (الثقلاء) أكبر من هذا؟ أي إنكم معشر الجمهوريين تُسلِّمون بأنه يقول بعدم ختم الرسالة، وأنتم على قوله كذلك، فما لكم تنفعلون لمَّا يقال لكم: إن محمود طه أنكر ختمها! أين وجه الاعتراض، وقد صدق من قال: «الانتهاض لمجرد الاعتراض من جملة الأمراض»[٢]، فإنهم يحاولون الرد على أي كلمة توجه إليهم، بأي طريق، حتى ولو كان في ردهم تأكيد ما قاله خصمهم فيهم تمامًا، ومع هذا يقولون للمخالف: أنت تمعن في التضليل، ففي الكتاب نفسه، وفي الرد على ذلك القول الذي جعلوه إمعانًا في التضليل، قالوا: «**النبوّة ختمت بنبينا محمد عليه صلوات الله وسلامه، ولكنّ الرسالة لم تختم**»[٣].

لقد صرّح محمود طه بما يطرحه في هذه المسألة في مقدمته للطبعة الرابعة من كتابه (الرسالة الثانية) وحاصل كلامه أن «النبي أن يكون الرجل منبأ عن الله، ومنبِئًا عن الله، أي متلقيًا المعارف عن الله بواسطة الوحي، وملقيًا المعارف عن الله إلى الناس، على وفق ما تلقى وبحسب ما يطيق الناس، فبمرتبة التلقي عن الله يكون نبيًا، وبوظيفة الإلقاء على الناس يكون رسولًا»[٤]، والولي هو الذي يتلقى بدون واسطة وحي، فهو يأخذ من الله مباشرة كما

---

(١) بيننا وبين الشؤون الدينية وأساتذتها من أزهريين ومن سعوديين، الإخوان الجمهوريون، ص١٤.

(٢) مقدمة ابن الصلاح ومحاسن الاصطلاح، توثيق وتحقيق: عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ)، مطبعة دار الكتاب ١٩٧٤م، ص١٧٦.

(٣) بيننا وبين الشؤون الدينية وأساتذتها من أزهريين ومن سعوديين، الإخوان الجمهوريون، ص١٤.

(٤) نقله الجمهوريون عنه في: بيننا وبين الشؤون الدينية وأساتذتها من أزهريين ومن سعوديين، الإخوان الجمهوريون، ص١٥.

سبق، وهذه المرتبة لم تنته عنده، يقول: «وأما الحكمة في ختم النبوة، فهي أن يتلقى الناس من الله من غير واسطة ملك جبريل، أن يتلقوا عن الله كفاحًا»[١].

فهو يسلم بأن عهد الأخذ بالواسطة انتهى، بانتهاء النبوة، لكن بقي الأخذ عن الله بلا واسطة، فما هو مسوّغ بقاء الشرع أصلًا إن كان الأخذ عن الله مباشرة ـ وهو أعلى من الأخذ عن الله بواسطة ـ متوفرًا لأمثال محمود طه؟ يحاول محمود تقريب الصورة فيقول: «ذلك أمر يبدو غريبًا للوهلة الأولى، ولكنه الحق الذي تعطيه بدائه العقول، ذلك أن القرآن كلام الله، ونحن كلما نقرؤه إنما يكلمنا الله كفاحًا ولكننا لا نعقل، السبب أننا مشغولون، وإنما جاء القرآن بمنهاج شريعته، ومنهاج طريقته وبأدبه في كليهما ليرفع ذلك الرين، حتى نستطيع أن نعقل عن الله ما يحدثنا في القرآن فإذا وقع هذا الفهم لرجل فقد أصبح مأذونًا له في الحديث عن أسرار القرآن بالقدر الذي وعى عن الله»[٢].

بهذه الطريقة يحل محمود طه المسألة، هناك قرآن وهو كلام الله، مع أنه سبق أن قال بأنه الله، ومع أنه سبق حديثهم عمن يأخذ عن الله كفاحًا هو الإنسان الكامل، وأنه الله أيضًا، وأن كل المخلوقات هي الله، ما علينا من كل هذا هنا، لكن لتحليل كلامه، يظهر أنه يقول:

١ ـ كل من يقرأ القرآن يأخذ عن الله كفاحًا لكنهم لا يعقلون لأنهم مشغولون.

٢ ـ هناك شريعة ومنهاج طريقة وأدب جاء به القرآن حتى يرفع عدم القدرة على العقل عن الله.

---

(١) نقله الجمهوريون عنه في: بيننا وبين الشؤون الدينية وأساتذتها من أزهريين ومن سعوديين، الإخوان الجمهوريون، ص١٥.

(٢) نقله الجمهوريون عنه في: بيننا وبين الشؤون الدينية وأساتذتها من أزهريين ومن سعوديين، الإخوان الجمهوريون، ص١٥.

وفجأة: هناك من يفهم ويصبح مأذونًا له ليتحدث عن الأسرار، إنها إعادة صياغة لمقررات أفلوطين، الذي قال: «الأسرار الدينية لا تكشف لغير الخواص»[١]، ولكن ما الدليل على أنه فهم؟ أليس كلام الغزالي ينطبق عليه وهو يقول: «معرفتك بقدرتي لا تحصل لا بنص [من غيره على أنه عالم] ولا بقلب العصا ثعبانًا، ولكن تحصل بأن تستكشف ذلك تجربة وامتحانًا، فمدّعي الفروسية لا ينكشف صدقه حتى يركب فرسًا يركض ميدانًا»[٢]، فكيف وما يقوله كل حين يكشف جهله جهلًا مركبًا بالشرع والمعقولات؟

ثم إن تلك التي يسميها أسرارًا قرآنية، هل يحتملها اللفظ أم لا؟ سبق أن قال بأن القرآن ليس له لغة، إنما لغته أناغيم النفس البشرية، وهذا يعني أنه يمكن أن يقول أي شيء، ويقول بعدها: كلامي أسرار قرآنية، لا يوجد عنده أي معيار يجري التحاكم إليه، لا اللغة، ولا الشرع، فالشرع إنما هو وسيلة عنده ليصل إلى هذه المرتبة مرحلة الحقيقة، ثم إن معرفة الشرع تكون عن طريق القراءة والمعاهد وأما ما يقوله محمود طه فهو عن طريق الذوق، وسبق كلامه على أن المعرفة لا تنال بالقراءة، فلم يبقَ له من دليل على أنه وعى وفهم سوى ادعائه لهذا.

أي إن محمود طه يفترض بالقارئ له أن يصدق أنه يتذوق، وأنه يفهم القرآن دون الحاجة لأي أهلية شرعية، لا في أصول الفقه، ولا قواعد التفسير، ولا قواعد اللغة، ولا علم الحديث، ولا أي شيء، هو فهم، وكلامه يتعلق بالأسرار الدينية، لأنه قال إنه فهم، حتى ولو رسب أمام أي امتحان يكشف مؤهلاته الشرعية، إنه صحيح = لأنه صحيح، بالدعوى المجردة، لا وجود لأي دليل على هذا، وهذا عمليًّا يعني أنه يحق له أن يتكلم بأي شيء

(١) تاسوعات أفلوطين، نقله إلى العربية عن أصله اليوناني: فريد جبر، مراجعة: جيرار جهامي، سميح دغيم، مكتبة لبنان ناشرون، الطبعة الأولى: ١٩٩٧م، ص٧٠٠، باختصار.
(٢) القسطاس المستقيم، أبو حامد الغزالي، ص٦٠.

يريده، وسيقول بأن كل خطراته، كل استنساخه لما قرأه من هنا وهناك إنما وعاه عن الله، إنه عمليًا يجعل نفسه كنبي من الأنبياء يمكنه أن يتصرف بالشريعة السابقة عليه، أو بقليل من التلاعب اللفظي قل: هو ولي يأخذ عن الله مباشرة، وهذا أعلى من الأخذ بواسطة مثل النبوة.

إن أي نص متى جُعل في حملة التأويل عليه أنه يحتمل كل شيء، لم يكن يعني عند من يزعم تأويله أي شيء، أي يضحي وجوده وعدمه سواء، ما معنى أن يأتي أعجمي مثلًا لا يعرف أي شيء من العربية ليقول خواطره على أنها عن الله بحجة أنه ولي، وهو الذي لا يفقه شيئًا من معاني القرآن ولم يسبق أن درسه مرة، إنه هنا يختبئ خلف النص، يدّعي العصمة لكلامه، فحتى ولو كانت كلماته لا تُساوي الحبر الذي كتبت به، فإنها بدعواه عن الله، فكيف إن زعم بعدها أنه الإنسان الكامل، الذي هو الله! وأن الكون كله هو الله؟ مرددًا كلام محمود طه: «**المعاني تؤخذ من الله لا الكلمات**»[1]!

لقد قال محمود طه: «**وقد ختمت النبوة، بصريح نص، لا مرية فيه**»[2]، ويقصد قوله تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، ويتبع قوله: «**وإنه لحق أن النبوة قد ختمت، ولكنه ليس حقًا أن الرسالة قد ختمت**»[3]، لماذا هذا التفريق؟ يعلل هذا بقوله: «**معلوم أن كل رسول نبي، وليس كل نبي رسولاً**»[4]، فهذا الرجل لا عقل، ولا لغة.

---

(١) أسئلة وأجوبة، محمود محمد طه، ص٧٢.

(٢) مقدمة الطبعة الرابعة، الرسالة الثانية من الإسلام، محمود محمد طه، على موقع: https://www.alfikra.org

(٣) مقدمة الطبعة الرابعة، الرسالة الثانية من الإسلام، محمود محمد طه، على موقع: https://www.alfikra.org

(٤) مقدمة الطبعة الرابعة، الرسالة الثانية من الإسلام، محمود محمد طه، على موقع: https://www.alfikra.org

فلو قال قائل: كل سوداني إنسان، وليس كل إنسان سودانيًا، ثم قال كل الإنس يموتون، هل يعني هذا الخلود لأهل السودان؟! إنهم إنس يشملهم قولك: كل إنسان سيموت، وكونه ليس كل إنسي سودانيًا، ليس استثناءً للسودان من الإنسان، بل هم بعض الإنس، ولذا يصدق عليهم قياس الشمول هذا، وهكذا القول كل رسول نبي، وليس كل نبي رسولًا، يعني أن الرسل بعض الأنبياء، فلما تختم النبوة، فهذا يشمل الرسل، إذ الرسل هم بعض الأنبياء، فهم أفراد من عموم الأنبياء، ولما تختم النبوة، فهذا يشمل كل أفرادها، وتسليم محمود طه بشمول عموم النبوة للرسالة، لا العكس، حجة عليه، وفضح لطريقة تفكيره!

لكن من كل هذا ما الذي يريد أن يصل إليه محمود طه؟ يوضح مرامه في قوله: «رسول الله قد التحق بالرفيق الأعلى وترك ما هو منسوخ منسوخًا، وما هو محكم محكمًا، فهل هناك أحد مأذون له في أن يغير هذا التغيير الأساسي، الجوهري، فيبعث ما كان منسوخًا، وينسخ ما كان محكمًا؟»[1].

إنه يسلم بأن النبي ﷺ توفي والمنسوخ منسوخًا، والمحكم محكمًا، لكنه يريد ذلك التغيير الذي يعرف أنه ليس بالجزئي والثانوي، بل هو التغيير الجوهري في الدين، وهو أن يبعث المنسوخ، وينسخ المحكم! إن «النسخ في اصطلاح الأصوليين رفع الشارع حكمًا شرعيًا بدليلٍ متراخ»[2]، أي إن الله ﷻ، يرفع حكمًا سبق أن أنزله، بدليل آخر أنزله، قال تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾﴾ [البقرة].

فالله هو الذي ينسخ الحكم، لا البشر، والله يوحي لنبيه أن بلّغ الناس

---

(١) مقدمة الطبعة الرابعة، الرسالة الثانية من الإسلام، محمود محمد طه، على موقع: https://www.alfikra.org

(٢) أصول الفقه، محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، ص١٨٥.

بأن الحكم كذا قد نسخ، كما في تغيير القِبلة، قال تعالى: ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمۡ عَن قِبۡلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيۡهَاۚ قُل لِّلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ١٤٢﴾ [البقرة: ١٤٢]، فقد صلى المسلمون إلى بيت المقدس فترة من الزمن، ثم نسخ هذا الحكم، قال ﷻ: ﴿قَدۡ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجۡهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبۡلَةٗ تَرۡضَىٰهَاۚ فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ﴾ [البقرة: ١٤٤] وهو الذي جعلهم من قبل يصلون إلى بيت المقدس، قال: ﴿وَمَا جَعَلۡنَا ٱلۡقِبۡلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيۡهَآ إِلَّا لِنَعۡلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِۚ﴾ [البقرة: ١٤٣]، فهو الذي جعل لهم تلك القبلة، ثم هو الذي أمرهم بتغييرها إلى الكعبة.

فيأتي محمود طه ليقول بأن الناسخ والمحكم يمكن تغييره عن طريق رجل مأذون له بهذا من الله بعد النبي ﷺ، إنما يسأل من هو المأذون له بهذا التغيير، بأن يغير أحكام الله التي بلغها رسوله ﷺ، فيغير ذلك ليعمل بالمنسوخ، ويترك الناسخ، هو «**رسول الرسالة الثانية**»[(١)]، ويقول محمود طه: «كيف نعرفه؟ حسنًا!! قالوا إن المسيح قد قال يومًا لتلاميذه: (احذروا الأنبياء الكذبة!!) قالوا: (كيف نعرفهم؟)، قال: (بثمارهم تعرفونهم)»[(٢)]، وسبق أن أصل هذا من إنجيل [متى ٧: ١٦].

فيقال: إنه يحتج في المسألة بما ورد في الإنجيل كما اعتمدته الكنيسة؟! وهو الذي سلّم بأن النص على ختم النبوة في الإسلام لا مرية فيه، وعلى فرض ثبوت ما نقله عن المسيح، فهل كان المسيح قد قال: إنه خاتم النبيين؟ لا، وبما أن محمود طه يحتج بالإنجيل ففيه: «وأنا أطلب من الآب **فيعطيكم معزيًا آخر** ليمكث معكم إلى الأبد» [يوحنا: ١٦]، وفيه: «**وأما المعزّي**، الروح

---

(١) مقدمة الطبعة الرابعة، الرسالة الثانية من الإسلام، محمود محمد طه، على موقع: https://www.alfikra.org

(٢) مقدمة الطبعة الرابعة، الرسالة الثانية من الإسلام، محمود محمد طه، على موقع: https://www.alfikra.org

القدس، الذي سيرسله الآب باسمي، فهو يعلمكم كل شيء، ويذكركم بكل ما قلته لكم» [يوحنا: ٢٦]، فالمسيح سلّم ببعثة من بعده، فلا يمكنك أن تحتج بمثل هذا على دين نبي سلّمت أن النص على ختم النبوة فيه صريح لا مرية فيه، ثم لو كنت صادقًا مع نفسك، ألم تسلم بأن النبوة ختمت؟ وجادلت في الرسالة، فها أنت تحتج بنص من الإنجيل لا القرآن ولا السنة في النبوة! وهذا يظهر ما الذي تحاول أن تفهمه لأتباعك.

وبعد هذا كان الجمهوريون ينفعلون في ردودهم على مخالفيهم الذين نسبوا إليه أنه ادعى الرسالة: «**زعمهم أن الأستاذ محمود قد ادعى الرسالة، فهل هذا صحيح؟** أم إنهم تورطوا في الهلكة؟ يخوضون فيما ليس لهم به علم، **نحن نطالبهم أن يثبتوا لنا أن الأستاذ محمود طه قد ادعى الرسالة قولاً أو كتابة**، وألا يلقوا بالقول على عواهنه، ودونكم **مؤلفات الأستاذ**، فإن ظفرتم من ذلك بشيء تطمئن إليه نفوس المؤمنين فافعلوا وإلا فاستحييوا من أنفسكم قبل غيركم، أما **نحن فننفي هذا الادعاء، نفيًا قاطعًا، لعلمنا أنه لم يقع مطلقًا**»[١].

كانوا بحاجة بدل هذا الانفعال، أن يُعمِلوا عقولهم قليلًا فيما قاله لهم محمود طه، وتابعوه عليه، فسلّموه له أن الرسالة لم تختم، لقد أخبرهم عن «**مأذون له في التغيير الأساسي، الجوهري**»[٢]، ذلك التغيير الجوهري للإسلام الذي كان على عهد النبي ﷺ، يكون «**ببعث آيات الأصول التي كانت منسوخة، ونسخ آيات الفروع التي كانت ناسخة في القرن السابع**»[٣] إنه يتحدث عن

---

(١) بيننا وبين الشؤون الدينية وأساتذتها من أزهريين ومن سعوديين، الإخوان الجمهوريون، ص١١، ١٢، باختصار.

(٢) مقدمة الطبعة الرابعة، الرسالة الثانية من الإسلام، محمود محمد طه، على موقع: https://www.alfikra.org، باختصار.

(٣) محمود محمد طه يدعو إلى تطوير شريعة الأحوال الشخصية، ص٥٨.

«رسول الرسالة الثانية»[١]، ويستشهد بما ورد في الإنجيل لمعرفة ذلك الرسول، بأنه من ثمارهم تعرفونهم في شأن الأنبياء الصادقين، كل هذا في مقدمة كتابه: (الرسالة الثانية في الإسلام) وبعد هذا لم يدعِ الرسالة الثانية تلك لنفسه؟ أهذه مزحة؟!

وبدل التوقف عند هذه المكابرة، يبرز السؤال القائل: ما الذي أراده محمود طه بعد زعمه الرسالة الثانية؟ لقد كرر كلام أهل الحلول والاتحاد مع حذلقة في الكلمات، مثل قوله: «**شأنه إبداء ذاته لعباده، وهذا الإبداء إنما هو تنزل من بهموت الذات إلى مراتب العباد، ليرقوا في معارج هذه التنزلات إلى الذات**»[٢]، فالتعبير بـ «**البهموت**» قد يوحي لأتباعه أن الرجل عميق جدًا حتى استعمل هذه العبارة، على أن «**البهموت هو جمع الجموع للبهم، وهو الخفي، أو المستصعب من الفهم**»[٣]، فالذي يقوله هنا: إن ذات الله التي هي عنده لا تعرف ولا توصف تنزل إلى مرتبة العباد حتى يرتقي العباد إلى تلك الذات التي لا تعرف!

وكلامه يعيد إلى الأذهان كلام علي بن يعقوب البكري، الذي رد عليه ابن تيمية في كتابه (الاستغاثة)، حيث قال البكري: «**خاطبهم تارة بتنزيلهم منزلة نفسه في الأفعال، وتارة نزّل نفسه منزلتهم في الأفعال والأوصاف**»[٤]، فرد عليه ابن تيمية: «**هذا كذب على الله وشرك به، وهو من جنس أقوال أهل الحلول، والاتحاد كالنصارى**»[٥]، فـ «الرب ﷻ، **ممتنع لذاته أن يكون غير الله مماثلاً له**

---

(١) مقدمة الطبعة الرابعة، الرسالة الثانية من الإسلام، محمود محمد طه، على موقع: https://www.alfikra.org

(٢) رسالة الصلاة، محمود محمد طه، ص٨٦.

(٣) من تقديم محمد ناصر الدين عبد اللطيف الخطيب لكتاب: بهموت الغيوب، محمد مهدي بهاء الدين الرفاعي، كتاب-ناشرون، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى: ٢٠١٣م، ص٥.

(٤) الاستغاثة في الرد على البكري، أحمد بن تيمية، ص١٢٥.

(٥) الاستغاثة في الرد على البكري، أحمد بن تيمية، ص١٢٥، ١٢٦.

في ذاته أو صفاته أو أفعاله، فإن المثلين يجوز على أحدهما ما جاز على الآخر، ويجب له ما يجب له، ويمتنع عليه ما يمتنع عليه، والرب حي قيوم غني صمد واجب بنفسه قديم بنفسه، مستحق لصفات الكمال بنفسه ممتنع اتصافه بنقائصها»[١]، فكيف لمثل هؤلاء أن يقولوا بأن الذات أو بهموت الذات كما هو عمق كلمات محمود طه، تنزل منزلة العباد! أي تنزل إلى مرتبة النقص، لترفع العباد إلى مرتبة الألوهية!

وقد سبق هذا في موقفه في الله وأسمائه وصفاته، فما الجديد عند محمود في مباحث الرسالة، وما الذي يريده قوله؟ التقط فكرة تطور الدين، وكررها مرارًا، فقال: «كان من أصعب الأشياء على الإنسان البدائي أن يقيّد نفسه، ويسيطر على نزواته، وكان من أصعب الأشياء أيضًا على المجتمع أن ينفذ العقوبة على المخالف لقواعد السلوك، وللعرف الذي درجت الأجيال على رعايته، **ونشأت فكرة الآلهة وفكرة الدين في مطلع تلك المرحلة**»[٢].

لقد «**نشأت الأديان من تجاوبنا مع البيئة**»[٣]، وعبر رحلة تطور الدين بنظره التي يسميها الإسلام وصل الدين إلى شكله أيام النبي محمد ﷺ، يقول محمود طه: «**الإسلام كدين بدأ بظهوره بظهور الفرد البشري الأول**... بدأ ظهور **هذه الفكرة الواحدة في الوثنيات البدائية المتفرقة** ثم أخذت تتقلب في مراقي التطور حتى **ظهرت الوثنيات المتقدمة**، واطرد بها التقدم حتى ظهرت صور ديانات التوحيد الكتابية، بظهور اليهودية وظهور النصرانية، ثم توّج ذلك ببعث محمد وبإنزال القرآن الكريم، وهذه الفكرة الواحدة ذات شكل هرمي، قاعدته أحط الوثنيات التعددية، وأكثرها تعديدًا، وقمته عند الله، حيث الوحدة

---

(١) الاستغاثة في الرد على البكري، أحمد بن تيمية، ص١٤٠، ١٤١.
(٢) رسالة الصلاة، محمود محمد طه، ص٤٨.
(٣) الإسلام والفنون، محمود محمد طه، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م، ص٢٨.

المطلقة، والاختلاف كما هو واضح بين القاعدة والقمة اختلاف مقدار، وليس اختلاف نوع»[١].

فالإسلام يشمل عنده الوثنيات، والاختلاف بين التوحيد والشرك ليس اختلاف نوع، بل مقدار، وإلا فهي كلها إسلام، إنه يعيد صياغة كلام أهل وحدة الوجود حيث قال قائلهم:

لقد صار قلبي قابلًا كلَّ صورةٍ فمرعى لغزلان ودير لرهبانِ
وبيت لأوثانٍ وكعبة طائف وألواح توراة ومصحف قرآنِ[٢]

وهي النتيجة المنسجمة مع قوله بأن المخلوقات هي الله، وأنه ما ثم في الوجود إلا الله، ولكن ما أثر هذا على الرسالة؟ إنه يريد أن يصل إلى القول بأن الإسلام «له بداية، وليس له نهاية، لأن نهايته عند الله»[٣]، فإذا كان الدين تطور عن الوثنيات، ما المانع حينها من تطوير ما وصلنا منه، كيف لا والبشرية بنظره تتطور، وتتقدم؟

ويرد عليه الإلزام الوارد على من قال بأن التوحيد إنما هو تطور عن التعدد، ومع ذلك يسلّم بوجود وحي عن الله، فحينها «بأي معنى يقال بأن هناك وحيًا من خارج الإنسان؟ فالأمر كله متطور دون أي حاجة لوحي، فكما أن إدخال عامل الوحي ليس ضروريًا لتفسير التطور من عوامل إعطاء الطبيعة صفة الآلهة، وليس هو ضروريًّا كذلك لتفسير تعدد الآلهة، وإعطائها أسماء معينة، فلن يكون ضروريًا في انتقاله إلى عبادة إله واحد، ليقال بعدها: بل تطور الأمر إلى توحيد المتعدد في إله واحد بالوحي، فوقتها يقال على طريقة

---

(١) الرسالة الثانية من الإسلام، محمود محمد طه، ص١١٩.

(٢) ذخائر الأعلاق شرح ترجمان الأشواق، محيي الدين بن عربي، المطبعة الأنسية، بيروت، ١٣١٢هـ، ص٣٩.

(٣) الرسالة الثانية من الإسلام، محمود محمد طه، ص١١٩.

لابلاس: فرضية لم أحتج إليها أبدًا»[١]، وبهذا تظهر حقيقة هذا القول لما يدفع إلى آخر نتائجه المنطقية، ماذا يتبقى له؟ لا يبقى له سوى الإنسان وأفكاره، دون أي وجود موضوعي يقابلها من خالق، وجنة ونار، وبعث ونشور، كما في تعدد الآلهة، فلا معنى في طرحه حينها لاستثناء التوحيد.

وحتى يتسق الجمهوريون مع قول محمود طه في التطور الديني، قالوا: «**كل موّحد مجوِّد للكلمة (لا إله إلا الله) لا يزال له إله غير الله، ولن ينفك، ذلك (الاله) هو تصوّره هو (لله)، وما من تصوّر (لله) إلا و(الله)، من حيث ذاته العلية بخلافه، فوقعت الشقّة بين التصور والحقيقة، فتوحيد كل موِّحد مجوِّد مهما بلغ من الكمال. . . وفكرة الاله كما ذكرنا فكرة متطورة، تبدأ من (الباطل) وتدخل مداخل (الحق)، وانّما يطلب الحق (الحقيقة)، يطلب أن ينطبق عليها تماماً، وهيهات!! هيهات!!**»[٢].

فكل موحد مشرك عندهم (**لا يزال له إله غير الله**)، لأنه سيطلب الإله الذي لا يمكن تصوره، إنما تبقى فكرة الإله تتطور، مرة من عبادة الأصنام، حتى عبدوا الله، لكن كل ما خطر ببالك بنظرهم فإن الله بخلافه، فعلى هذا فأنت ستظل تعبد غير الله، أي تصورك الموهوم عن الله، وهكذا تظل البشرية إلى ما لا نهاية، لا تعبد الله حقيقة، فانظر قولهم: «**كل موّحد مجوِّد للكلمة (لا إله إلا الله) لا يزال له إله غير الله**»، وهذا يشمل الأنبياء والرسل حتى خاتمهم محمد ﷺ، ويشمل الصحابة، ويشمل كل مسلم، بأن اتخذوا إلهًا غير الله! وهكذا تنكروا لكل الأنبياء والمرسلين، والصحابة والتابعين، وهكذا سحبوا من الرسالة أهم ما يميزها، وهو التوحيد الحق، وجعلوها فارغة من المضمون فما الذي سيتبقى على مستوى الشريعة؟

---

(١) بؤس التلفيق؛ نقد الأسس التي قام عليها طرح محمد شحرور، يوسف سمرين، مركز دلائل، الرياض، الطبعة الثانية: ١٤٣٩هـ، ص٩٥، ٩٦.

(٢) عقيدة المسلمين اليوم!! الإخوان الجمهوريون، فصل: التوحيد امر نسبي، على موقع: https://www.alfikra.org

يقول محمد طه: «الإسلام في مستوى الشريعة، أعني للمبتدئين غيره عند الحقيقة، أعني لمن استووا، واستقاموا على الطريقة»[١]، فالشريعة التي فيها ناسخ ومحكم كما مات النبي ﷺ هذه للمبتدئين، لكن أمثال محمود من «المنتهين»! حالهم مختلف، وبما أنه من المأذون لهم بالحديث عن الأسرار الدينية، من الذين تذوقوا، فإنه سيرى بأن الشريعة كما مات عليها النبي ﷺ «عدل، ولكنه العدل الذي يناسب القاصر، هو العدل الذي يبرره حكم الوقت»[٢]، أحكام تناسب ذلك الزمان القديم قبل التطور اللاحق، تلك رسالة أولى، تختلف عن عصر جديد تطور، تحتاج إلى رسالة ثانية، ورسول ثانٍ حيث إن الرسالة لم تختم.

فبما أن المجتمعات البشرية تطورت بنظره ولم تعد قاصرة كما عهد النبي ﷺ، فإن محمود طه سيقول: «أصبح على الدين طور جديد، هو أن يقفز بالإنسانية عبر هذا الطور القلق الحائر المضطرب، طور المراهقة، ليدخل بها عهد الرجولة والاكتمال»[٣]، «أصبح على الدين منذ اليوم، ألا يبنى على الغموض وألا يفرض الإذعان، على نحو ما كان في عهد طفولة العقل البشري، وإنما يجب عليه أن يقدم منهاجًا متكاملًا للحياة، يخاطب العقل، ويحترمه»[٤]، إن البشرية «لن تلبث أن تخلف عهد الطفولة والنقص وتستقبل عهد الرجولة والنضج، ولن تحتاج في غدها القريب الدين على نحو ما احتاجته في ماضيها، يقوم على الغموض ويفرض الإذعان وإنما تحتاجه يقوم على الوضوح»[٥].

---

(١) أسئلة وأجوبة، محمود محمد طه، ص٣٠.

(٢) محمود محمد طه يدعو إلى تطوير شريعة الأحوال الشخصية، ص٣.

(٣) محمود محمد طه رئيس الحزب الجمهوري يقدّم الإسلام، ص١٢.

(٤) محمود محمد طه رئيس الحزب الجمهوري يقدّم الإسلام، ص١٢.

(٥) أسس دستور السودان، محمود محمد طه، ص٤٠.

فهذا الذي يتحدث عن العقل، واحترامه، هو نفسه الذي يفترض بقرائه أن يسلموا له بأنه يأخذ العلم المكنون بدون قراءة، وهذا الذي يتكلم عن الوضوح، ويلمز الدين قبل هذا العصر بالغموض، هو الذي يُحدِّث الناس عن «بهموت الذات»! على أي حال، فإن حاصل ما يريده محمود في جانب الشريعة يتلخص بقوله: «لا كرامة لمطلق حي على هذا الكوكب، إلا ببعث أصول الإسلام، إلا ببعث آيات الأصول التي كانت منسوخة، ونسخ آيات الفروع التي كانت ناسخة في القرن السابع، فليستيقن هذا رجال المسلمين ونساؤهم»[١].

فليستيقن المسلمون، بأنه يريد إحداث تغيير جوهري في الدين كما وصفه هو بنفسه من قبل، يريد أن يقول بأنه الرسول الذي جاء بالرسالة الثانية، الذي يمكن معرفته بمراجعة إنجيل يوحنا فيما نسب إلى المسيح: من ثمارهم تعرفونهم! حسن تنزلًا واختصارًا لطول الحديث، ما هي ثمار محمود طه بعد قلبه الأحكام التي توفي النبي ﷺ عنها؟

لقد صرح محمود طه بأنه «لا شريعة بلا حقيقة، ولا حقيقة بلا شريعة»[٢]، ولكنه سارع بالقول حتى لا يُفهم غلطًا: «يجب أن نكون دقيقين هنا، فإن الحقيقة إذا نضِجت، تصبح شريعة فردية، وإذا لم تنضج تكون شريعة جماعية»[٣]، فهناك شريعة للعامة، وهناك أخرى فردية للخاصة، ويوضح هذا فيقول: «لا بد لصاحب الحقيقة الباقي من شريعة، وقد تكون شريعته فردية، هو يعيش فوق مستوى شريعة الجماعة، ولها ضابط، هذا الضابط هو دائمًا عصمته من أن يخرق شريعة الجماعة مما يترتب عليه ضرر على أحد»[٤].

---

(١) محمود محمد طه يدعو إلى تطوير شريعة الأحوال الشخصية، ص٥٨.

(٢) لا إله إلا الله، محمود محمد طه، ص٥١.

(٣) لا إله إلا الله، محمود محمد طه، ص٥١.

(٤) القرآن ومصطفى محمود والفهم العصري، محمود محمد طه، ص٢٧.

فصاحب الحقيقة عنده فوق مستوى شريعة الجماعة، ولكن في المعاملات لا يخرق شريعة الجماعة، حتى لا يقع ضرر على غيره، فهو لا يجوِّز خرق الشريعة في المعاملات موقعًا ضررًا، وهذا الضابط عنده، ومفهومه جواز خرق الشريعة دون أن يضر غيره، في غير أبواب المعاملات، أي في العبادات، وهو القائل: «شريعة العبادات كلها شريعة فردية»(١)، فهو يفسح المجال لصاحب الحقيقة أن يخرق الشريعة، بحجة أنه فوق شريعة الجماعة، لكنه أمام الناس في المعاملات لا يخرقها خوف إيقاع الضرر على أحد، فإذا خلى بنفسه يمكنه أن يخرق الشريعة، فله شريعته الفردية، فعنده «المسلم إذا اكتملت حقيقته انبثقت منه شريعته، فأصبح صاحب شريعة فردية في الصلاة لله، وفي الصلاة على النبي، لا يتقيّد بنهج صلاة المؤمنين في كل أولئك»(٢).

ومع أنه قال بعد هذا «وهو إنما تكتمل له حقيقته وتبرز له شريعته الفردية منها بفضل الله ثم بفضل حسن تقليده للنبي»(٣)، فهو يقصد قبل وصوله لطور الحقيقة، بحيث تكون له شريعته الفردية، فتقليد النبي ﷺ عنده مجرد درجة، إلى هذه المرحلة، يقول شارحًا هذا: «السالك المجوّد لتقليد النبي، يبرز من مستوى الشريعة الجماعية، إلى مستوى الشريعة الفردية، ويكون بذلك قد أفضى به التقليد إلى الأصالة، ويعطى شريعته من الله كفاحًا، بلا واسطة نبي»(٤).

فيتماهى بموقفه هذا وبضابطه: عدم إيقاع الضرر على أحد، مع الموقف الليبرالي القائل بأن الحرية تشمل أي فعل دون إيقاع ضرر، يقول جون سيتيوارت مل في بيانه للحرية: «أن نفعل ما نشاء على أن نتحمل ما يترتب على ذلك من نتائج، دون أن يقف في طريقنا أحد من إخواننا في الإنسانية طالما

---

(١) الرسالة الثانية من الإسلام، محمود محمد طه، ص٤٦.
(٢) محمود محمد طه يدعو إلى طريق محمد، ص١٨.
(٣) محمود محمد طه يدعو إلى طريق محمد، ص١٨، ١٩.
(٤) الثورة الثقافية تعلموا كيف تصلون، محمود محمد طه، ص٩٣، ٩٤.

كانت أفعالنا لا تنالهم بضرر، حتى ولو اعتقدوا أن تصرفاتنا هذه دليل على السخف أو السفه، أو الخطأ»[١].

إلا أن محمود طه يكسوا هذا بغلاف ديني، بأن الخاصة لهم شريعتهم الفردية، والتي يمكن أن تكون أي شيء، فمن يمكنه أن يتنبأ بما يمكن أن يقوله واحد من هؤلاء الذين يزعمون الأخذ عن الله دون واسطة نبي، ومعنى هذا أنهم لا يمكن الإنكار عليهم متى ابتدعوا في الشرع المتلقى عن النبي ﷺ، فهم يأخذون مباشرة عن رب النبي! ويعني هذا بأنَّ شرائعهم الفردية قد تكون مختلفة تمامًا عن عبادات عامة أهل الإسلام، من صلاة، وصيام وحج ونحو هذا، فيعطون ما يفعلونه الاسم، ويغيرون المعنى بحجة أنها شريعتهم الفردية.

وإنه لأمر يدفع إلى سؤال، وهو أنه ما دام هؤلاء لهم شريعتهم الفردية، التي يزعمون أنهم يأخذونها عن الله مباشرة، لماذا لا تكون المسألة أيضًا في المعاملات؟ فيأخذون عن الله في المعاملات أيضًا، لـمَ ذا التحرج في المعاملات فحسب؟ إن المسألة غير متماسكة نظريًا؛ إذ من علّمك في الأولى يقدر على تعليمك في الثانية، إنما التفسير الأقرب لهذا هو خوفهم أن يطلع على اعتقادهم أهل الإسلام، فيعاملون المسلمين بالشرع العام، أما إذا انفردوا فلكل شريعته، وهذا مثل قوله تعالى عن المنافقين: ﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَـٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ﴾ [البقرة: ١٤].

ومع ذلك فقد كان محمود طه يعوّل على تطوّر البشرية، ولذا لم يتوقف في تغيير الشريعة عند مستوى ما سماه بالشريعة الفردية، بل امتد إلى غيرها كذلك، فقال: «الحُرمة الحسية مجاز لتنقية السلوك»[٢]، فكما هو معلوم بأن النبي ﷺ توفي عن دين الإسلام وقد حرّم فيه الربا، والفواحش، والخمر،

---

(١) حول الحرية، جون ستيوارت مل، هيئة قصور الثقافة، ٢٠١٢م، ص٢٧.

(٢) محمود محمد طه رئيس الحزب الجمهوري يقدّم الإسلام، ص٣٠.

والميسر، وغيرها، لكن هذه عنده مجاز لتنقية السلوك، فما موقعها في رسالة محمود طه الثانية بزعمه؟ قال: «حين يبلغ الإسلام بالناس طور رسالة محمد الثانية وهي قمة الإسلام، ونهاية المطاف تقريبًا، ينتقل التحريم من الأعيان المحسوسة، إلى صور السلوك المعنوية»[١]، ويقترب أكثر من النصرانية فيقول: «رسالة محمد الثانية تجيء أقرب إلى جانب النهاية منها إلى جانب البداية، أو هي مما يلي النصرانية»[٢].

إن المحرمات بنظره مجاز لتنقية السلوك، وبعد التنقية، ماذا سيحصل للمحرمات؟ «كلما تنقت السريرة استقامت السيرة، فضاقت المحرمات لذلك واتسعت المباحات، فإذا استمر السير بالسائر إلى نهايته المرجوة، وهي نقاء السريرة، واستقامت السيرة تمامًا، عادت جميع المحسوسات إلى أصلها من الحل، وهذه مرتبة الكمال تؤدي إليها رسالة محمد الثانية، حين قصرت عنها رسالته الأولى»[٣].

ومن هذا الإطار يحكم محمود طه بأن «الإسلام برسالته الأولى لا يصلح لإنسانية القرن العشرين» وهو العنوان الذي اختاره لمحاضرة له طبعها الجمهوريون في كتاب، وذلك «يعني أنه يوجد رسالة ثانية»[٤]، ويفتتحها بمغالطة منطقية حيث يقول: «الكلام الذي يقال في هذا الموضوع قد يكون غريبًا، بل هو على التحقيق غريب، لكن غرابته مدعاة لصحته أكثر منها مدعاة لخطئه، ودونكم حديث: بدأ الإسلام غريبًا، وسيعود غريبًا كما بدأ، فطوبى للغرباء[٥].

---

(١) محمود محمد طه رئيس الحزب الجمهوري يقدّم الإسلام، ص٣٠.

(٢) محمود محمد طه رئيس الحزب الجمهوري يقدّم الإسلام، ص٣٠.

(٣) محمود محمد طه رئيس الحزب الجمهوري يقدّم الإسلام، ص٣٢، ٣٣، باختصار.

(٤) الإسلام برسالته الأولى لا يصلح لإنسانية القرن العشرين، محمود محمد طه، ١٣٨٨هـ-١٩٦٩م، ص٧، بتصرف يسير.

(٥) الإسلام برسالته الأولى لا يصلح لإنسانية القرن العشرين، محمود محمد طه، ٧- بتصرف يسير.

فهو يخلط بين القول بأنَّ الإسلام بدأ غريبًا، وبين أن ما هو غريب إسلام، قال أبو حامد الغزالي: «إن قولك: كل إنسان حيوان، لا يلزم منه عكسٌ عام، وهو أن كل حيوان إنسان، بل اللازم أن بعض الحيوان إنسان، ولا يستولي الشيطان بحيلة على الضعفاء أشد وأكبر من إيهام العكس العام، إلى أن ينتهي إلى المحسوسات، حتى إن من رأى حبلًا أسود ومبرقش اللون يرتاع لشبهه بالحية الرقشاء، وسببه معرفته أن كل حية طويل مبرقش اللون، فيسبق إلى وهمه عكسه العام، ويحكم بأن كل طويل مبرقش اللون فهو حية، وكان اللازم عكسًا خاصًا وهو أن بعض الطويل المبرقش حية، لا أن كله كذلك»[(١)]، فالقول بأن الإسلام سيعود غريبًا، لا يلزم منه أن الغريب إسلام، ولا أن الغريب مدعاة للصحة أكثر، لكنه تحاكم إلى مثل هذه المغالطة.

وبالعودة إلى مقولة محمود طه بعودة الأشياء المحسوسة إلى الحل، فإنه يطبق هذا في الفنون، فيشرح طريقته بقوله: «**بإيجاز التحريم في النهج البدائي للإسلام مؤكد**، فهو ضد الموسيقى للمبتدئ، ضد النحت، ضد الرقص»[(٢)]، هذا النهج البدائي لا ينطبق على من وصل إلى المرحلة الأخرى بنظره، المرحلة التي يصفها بقوله: «**أما إذا استوى**، فمن الممكن لهذا الإنسان أن يتخذ كل وسائل التعبير لتسيره إلى الله، **النحت يسيّره إلى الله، الموسيقى تُسيّره إلى الله، الرقص يسيره إلى الله، وكل وسائل التعبير تسيره إلى الله**»[(٣)]، وبعبارة أخرى: «**كل الفنون حلال اليوم**»[(٤)]، ما دام تجاوز مرحلة المبتدئ.

وهكذا في باقي المسائل، الحجاب مثلًا، يقول فيه: «**الأصل في الإسلام السفور**، لأن مراد الإسلام العفة، وهو يريدها عفة تقوم في صدور النساء

---

(١) القسطاس المستقيم، أبو حامد الغزالي، ص٥٢.
(٢) الإسلام والفنون، محمود محمد طه، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م، ص٣٧، ٣٨، باختصار.
(٣) الإسلام والفنون، محمود محمد طه، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م، ص٣٧، باختصار.
(٤) الإسلام والفنون، محمود محمد طه، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م، ص٣٩.

والرجال، وهذه تحتاج إلى فترة انتقال لا تتحقق أثناءها العفة إلا عن طريق الحجاب»[١]، وهكذا تضحي الأحكام الشرعية مراحل مؤقتة، ويشرح هذا بقوله: «**الأفراد يتطورون في فهم الدين، فيدخلون في مراتب الشرائع الفردية، والمجتمعات تتطور، تبعًا لتطور الأفراد، فترتفع شرائعها من قاعدة غليظة إلى قاعدة أقل غلظة**»[٢]، وبهذا لا يبقى أي قيمة للشريعة إلا مثل أي قانون اصطلاحي بين الناس، لا معنى لخصوصيتها بوصفها بالوحي حينها وأنها من عند العليم الخبير، ما دام يمكن الأخذ عن الله مباشرة دونها متاحًا، كما لا يوجد في طرحه أي فهم موضوعي لها، إنما هي شرائع تتبع الأفراد لا النصوص التي تحدد معناها القواعد اللغوية والأصولية، إن ما يطرحه إنما هو دعوة لعزل النبوة، فإن كانت المجتمعات تتطور وتصبح الشرائع الجماعية أو العامة، في حيز الشرائع الفردية، تلك الشرائع الفردية مأخوذة من الأفراد فحسب، بزعم أنها من الله، هذا عزل تام للنبوة وشرع الإسلام، وهو القائل عن «مستوى الشريعة الفردية، قد أفضى به التقليد إلى **الأصالة، ويعطى شريعته من الله كفاحًا، بلا واسطة نبي**»[٣].

ولقد «سئل أبو علي الروذباري عمن سمع الملاهي ويقول: هي حلال لأني قد وصلت إلى درجة لا تؤثر فيّ اختلاف الأحوال، فقال: نعم: قد وصل لعمري، ولكن إلى سقر»[٤]، فإذا كان هذا في مثل هذه مسألة، فكيف بمن يقول ما سبق في كل الشريعة؟ وقد قال عبد القادر الجيلاني وهو من هو في التصوّف: «**كل حقيقة لم تشهد لها الشريعة فهي زندقة**»[٥]، وقال أحمد

---

(١) الرسالة الثانية من الإسلام، محمود محمد طه، ص١٥٨.

(٢) الرسالة الثانية من الإسلام، محمود محمد طه، ص١٩٧، ١٩٨.

(٣) الثورة الثقافية تعلموا كيف تصلون، محمود محمد طه، ص٩٣، ٩٤، باختصار.

(٤) تلبيس إبليس، عبد الرحمن بن الجوزي، دار القلم، بيروت ـ لبنان، ص٢٣٧.

(٥) فتوح الغيب، عبد القادر الجيلاني، مكتبة وطبعة البابي الحلبي، مصر، الطبعة الثانية: ١٣٩٤هـ-١٩٧٣م، ص٩٧.

الرفاعي الصوفي: «كل حقيقة خالفت الشريعة فهي زندقة»[1]، وعلق الروّاس الصوفي على هذا بأن هذا يعني «ردَّ كل ما ينسب إلى الأولياء من الكلمات التي يردّها الشرع، ولا يستقيم تأويلها، فإن حفظ نظام الشريعة الغراء أهم من حفظ أقاويل زيد وعمرو، وخالد وبكر، وإنّ تعصب أقوام للكلمات المنقولة عن بعض المشايخ التي تصادم أحكام الشرع من صدمات القدر والدافعة إلى سقر والعياذ بالله»[2].

ثم ألم يزعم محمود طه بأن علومه إنما تلقاها بعد التقوى؟ فأي تقوى هذه وهو الذي يجعل للخاصة شرائع فردية تتلقى من الله كفاحًا بزعمه، دون وساطة نبي، قال الحكيم الترمذي: «من اتقى بالعلم الباطن، ولم يتعلم العلم الظاهر ليقيم به الشريعة وأنكرها فهو زنديق، وليس علمه في الباطن علمًا على الحقيقة»[3].

فالشريعة جاءت للعالمين، لا تفرق بين خاصة وعامة، فليس للخواص شريعة فردية خاصة، وإنما يتفاضل الناس في العلم بالشرع والعمل به، والعلم بالشرع ممكن لكل أحد شمر عن ساعد الجد، ولم يرض بالبطالة ويزعم بأنه يتلقى دون وحي، فالشرع جاء للبيان، والبيان أن يكون الشيء واضحًا لمن أراد معرفته، بأن يسلك طريق طلب العلم بأن يعلم الأصول من كتاب وسنة، ويتقن علم الآلة من عربية، وعلم الحديث، وعلم الأصول، وفيه ما هو من المحسنات كمعرفة التجويد ونحو ذلك كما ذكره أبو حامد في بداية (الإحياء)، وليس هو مما تمليه سمادير تأملات جاهل بقواعد الشرع، وكل نكتة تقع

---

(١) الحكم الرفاعية، أحمد الرفاعي، نسخة إلكترونية، ص٣، والنص نقله كذلك الروّاس، في كتابه: بوارق الحقائق، ص١٨٥.

(٢) بوارق الحقائق، الرواس، ص١٨٥.

(٣) بيان الفرق بين الصدر والقلب والفؤاد واللب، الحكيم الترمذي، تحقيق: أحمد عبد الرحيم السايح، مركز الكتاب للنشر، القاهرة، ص

للسالك ليس عليها شاهدا عدل من كتاب وسنة، فليست من الدين في شيء كما قال ذلك من قاله من أهل التصوّف، كما أن الشرع في معناه الذي جاءت به النصوص يشمل الحكم الظاهر والباطن، وهو ما يسميه الفقهاء الحكم ديانة أي بين العبد وربه، حتى ولو لم يكن ظاهرًا يطلع عليه الناس، قال تعالى: ﴿وَذَرُوا۟ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ﴾ [الأنعام: ١٢٠].

أما تغير الأحكام من ناحية فقهية، فليس المقصود به نسخ الناسخ، وإبطال المحكم، فهذا خروج من ربقة الدين، إنما الحكم الفقهي يشترط له أمران: معرفة الواقع، ومعرفة الواجب في الواقع، فقد يختلف الواقع فيلتحق بحكم غير الذي كان قبل تغير الواقع، فليس هذا مما يقوله محمود وأضرابه في شيء.

وقد يتغير حكم فقيه تبعًا للحجة والبرهان، بأن يكون لم يطلع على دليل، أو وجه استدلال في دليل يعرفه ولكن لم يفقه منه مسألة، ثم يظهر له ما كان خفيًا عليه ولا يلزم منه الخفاء في نفسه، وهو جارٍ في هذا على قواعد الشرع وضوابطه وقانونه، فهذا ليس من تغيير الأحكام في شيء، إنما هو علم بعد جهل في مسألة، كذلك قد يظهر له في الواقع ما كان خفيًا عليه، كأن يكون قد أباح نوعًا من الأطعمة، فبان له بأنه مسكر فحرّمه، فهذا تبع لعلمه بعد جهله، وليس لتغير الشريعة نفسها.

والأحكام الفقهية تختلف تبعًا لتنزيل الأحكام على الواقع، بأن تكون الأحكام معللة معروفة بمسالك العلة المبينة في كتب هذا الشأن أي: أصول الفقه، فالحكم يدور مع علته وجودًا وعدمًا، كما في علّة الخمر وهي الإسكار، وهو غياب العقل على وجه الطرب، وقد تختلف تبعًا لتغير العُرف، وتغير العُرف كأن تكون كلمة في عرف بلد تعني شتيمة، بخلاف منطقة أخرى تُعتبر فيها الكلمة مدحًا فالحكم تابع في هذا لمعناها، لا لمبناها، وقد تتبع الأحكام المصالح والمفاسد في مقاصد الشرع، وعند تزاحم مفسدتين تقدّم أدناهما، أو مصلحتان

تقدم أعلاهما، وهو يدخل في قوله تعالى: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]، وفي هذا كله ليس الفقيه منشئًا للحكم، إنما هو مبيّن للحكم.

والفقه في الشرع لا ينحصر في معرفة الأحكام الشرعية العملية من أدلتها التفصيلية، بل يعني معرفة مراد الله، وليس منحصرًا في الأحكام العملية، بل يشمل أول ما يشمل العقائد، ولذا سمى بعض العلماء علم العقائد بالفقه الأكبر، وما يحسبّه بعض العُبَّاد أنه خارجٌ عن سنن الفقه، فيستحدث طريقة يضاهي بها الشريعة، فهو جهل منهم بمعناه، فالفقه يعني معرفة مراد الله، وبهذا يشمل الأخلاق، ويشمل الأحكام، ويشمل العقائد، وفقيه النفس هو من يعرف مراد الله في شأنه ظاهرًا وباطنًا، أمام الناس وفي خلواته، لا يخترع لنفسه شريعة خاصة، بل يتبع النبي ﷺ، فهو أتقى الناس، وأعلمهم بأحكامه.

ولكن أين هذا من قوم تركوا كل هذا واتبعوا ما تسلل إلى ما طالعوه من تراث عبر الترجمات؟ ولعلهم لا يعرفون أن أصله يوناني، فحسبوا أن الفضيلة هي التشبه بالإله، وأن التصوف هو التعامل مع الشريعة كسلّم يقفزون بعده إلى درجة سموها بالحقيقة، وبعدها لهم شرائعهم الخاصة، وهم يتوهمون ويوهمون أتباعهم بأن لهم شريعة خاصة استغنوا بها عن النبي ﷺ، فيلمزون من تابع النبي بالتقليد، وكأنهم هم أهل العلم حقيقة، وما معهم إلا الدعوى، وعند الحجاج لا يظهر منهم عقل ولا نقل.

موقفه من القدر

قوم يقولون ما في الوجود إلا الله، ماذا سيقولون في القضاء والقدر غير الجبر؟ إذا كانت المخلوقات هي الله، فما هو المنكر منها؟ وما هو المحرّم؟ إن التحريم للمبتدئ بنظره، جاءت الشريعة على قدر عقول المبتدئين، أما المستوي، والخاصة، فلهم مرتبة أخرى على رأس الهرمية الطبقية باسم الدين التي سعى محمود طه لتأسيسها، ودعت إليها أفكاره.

وهكذا تتسع المسائل حتى لا يعود عليهم أي تحريم كلما التزموا بما قرره لهم محمود طه، فيتوحدون مع المخلوقات التي هي الله بزعمهم، ولكن المخلوقات منها المحرم ومنها الحلال، من المخلوقات الطائع والعاصي، العادل والظالم، المؤمن وغير المؤمن، إلا أن محمود طه عنده المخلوقات هي الله، عنده الشرائع تنتهي إلى الإباحة! فكيف سيتعامل مع القدر؟

لقد تكلم طويلًا فيما لا حاصل منه سوى ما يظهر للقارئ وهو يقرر: «**من وجهة نظر الحق ليس هناك إلا الحق، وماركس ما جاء بحاجة ما أوحى بها الله إليه**»[(١)]، فحتى ماركس من أوحى له بأفكاره هو الله بنظره، حتى لو كان ماركس ملحدًا ومن أشد المعادين لمثل هذا الكلام عنه وما فيه من تجريدٍ لجهوده وسهره، لم يكن سوى الحق، والوحي، وهكذا يسلسل محمود طه كلامه حتى يصل إلى إبليس، ألم يفعلها من قبله الحلّاج؟ فجعل منه أستاذه؟

فيرى محمود طه أن إبليس «**عاصٍ في مرحلة الشريعة**»[(٢)]، وذلك في نظر

(١) الماركسية في الميزان، محمود محمد طه، ص٥-٦، قالها بالعامية، وجرى التعديل بالفصحى.

(٢) لا إله إلا الله، محمود محمد طه، ص١٧.

السالك ما لم يصل إلى مرحلة الحقيقة، تلك المرحلة التي يكون فيها فوق الشريعة، في تلك المرحلة، حين يعلم بأن الفاعل هو الله وحده، وحين يعلم بأن المخلوقات هي الله، تختلف المسألة، فيقول محمود طه: «**المعصية في مرحلة الشريعة، لكن في الحقيقة الله لا يُعصى، إبليس ليس عاصيًا لله في مرحلة الحقيقة**»[١]، وهكذا ففي مرحلة الحقيقة لا فرق بين كفر وإيمان، وهذا هو صدى ما قاله الحلّاج، محتجًا بالقدر، وقد «بات الحلاج في جامع دينور، ومعه جماعة، فسأله واحد منهم: وقال: يا شيخ ما تقول فيما قال فرعون؟ قال: كلمة حق، فقال: ما تقول فيما قال موسى؟ قال: **كلمة حق، لأنهما كلمتا جرتا إلى الأبد، كما جرتا في الأزل**»[٢].

لقد بلغ الأمر بالحلاج أن يوحد بين الكفر والإيمان، تبعًا لنظرته التي كرر مثلها محمود طه وأتباعه، فقال الحلّاج: «**الكفر والايمان يفترقان من حيث الاسم، وأما من حيث الحقيقة فلا فرق بينهما**»[٣]، أليست هذه مرحلة الحقيقة عند محمود طه، حيث يرى بأن إبليس ليس عاصيًا في مرحلة الحقيقة، تلك المرحلة التي تنكشف للخاصة أمثاله بزعمه، بل إن محمود طه لا يتوقف عند القول بأن إبليس ليس عاصيًا في مرحلة الحقيقة بزعمه، فيقول: «**إبليس مثل جبريل، داعٍ إلى الله، الله ليس عنده عدو، لكن في مرحلة الشريعة الوجود مقسوم إلى داعٍ إلى غير الله، وإلى داعٍ إلى الله**»[٤].

فلا حرج عند محمود طه وأمثاله أن يناقضوا القرآن وهو الذي يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ [الممتحنة: ١]، ليقول ليس لله

---

(١) لا إله إلا الله، محمود محمد طه، ص١٧، والتعديل عن العامية فحسب.

(٢) أخبار الحلاج؛ من أندر الأصول المخطوطة في سيرة الحلاج، علي بن أنجب الساعي البغدادي، ص٧٧.

(٣) أخبار الحلاج؛ من أندر الأصول المخطوطة في سيرة الحلاج، علي بن أنجب الساعي البغدادي، ص٧٨.

(٤) الإسلام والفنون، محمود محمد طه، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م، ص٣٩، والتعديل عن العامية.

عدو، تلك مرحلة الحقيقة، وليجعل إبليس كجبريل داعيًا إلى الله، وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «إن عدوّ الله إبليس»[١]، فتلك بنظره ظواهر جاءت لمجاراة وهم الناس، إنما الحقيقة هي الباطن، والباطن الذي اطلع عليه محمود طه بزعمه أن إبليس داعٍ لله، وليس عدوًا له، فمفاد هذا أن النبي ﷺ إما جهل هذا فمحمود طه أعلم منه، أو أنه علمه فأخبر بخلافه، فكان يكذب للمصلحة مراعاة لحال الناس! ولا أدري أيفترض محمود طه أن صحابة رسول الله ﷺ لو أخبرهم النبي أن إبليس داعٍ إلى الله كانوا سيسارعون إلى تكذيبه، ومع ذلك يفترض بالقارئين له أن يسارعوا بتصديقه هو!

إن ما يطرحه محمود طه في هذا يجعل من المرء متماهيًا مع الواقع بكل ما حواه من عدل أو ظلم، ليس له أن يعترض وقد وصل إلى مرحلة الحقيقة المزعومة، بحيث يكون إبليس ليس عدوًا لله بل هو داعٍ إلى الله، فإن كان هذا في إبليس، فكيف بمن دونه، إن كان الملحد يلحد بوحي من الله، والمؤمن كذلك بوحي من الله، فلا مجالَ لإنكار فكرة باطلة، كل ما يحصل في الواقع هو الله، إنها فكرة عدمية تمامًا، لا منكر فيها ولا معروف، دعوة للاستسلام الخانع، لا مواجهة فيه لباطل، ولا انتصار فيه لحق.

فضلًا عن تشويهها للمفاهيم تمامًا، فيصبح رأس الكفر والظلم داعيًا إلى الله، فتتساقط معايير القيم، وتلغى رتب العقول، وتمسح رسوم الشريعة التي تحدد الباطل من الحق، لتعلو فوقها مرتبة مزعومة تلك المرتبة هي الحقيقة، تلك التي لا ترى فيها وحدة الفاعل فحسب بل وحدة الوجود، فبأي عقل ستحارب شيئًا، وتضاد أمر الفاعل الواحد، وكيف ستنكر شيئًا وما هو بنظر صاحب الحقيقة المزعومة سوى الحق الصراح، إنه الله، وفي هذا كان الحلّاج سابقًا، وهو يقول:

أَلقاه في اليَمِّ مكتوفًا وقال له إيَّاك إيَّاك أن تبتلَّ بالماءِ[٢]

---

(١) صحيح مسلم، رقم الحديث: ٥٤٢، ص٢٤٥.

(٢) الحلاج الأعمال الكاملة، جمع: قاسم محمد عباس، ص ٢٨٨.

موقفه من الجنة والنار

ومحمود طه حتى في بدعته لم يبدع، فكان يردد كل بدعة حفظ التاريخ إنكار المسلمين لها، ومن ذلك قوله: «**الحقيقة أن النار ليست خالدة، بل إن عمرها ليس طويلاً، والجنة ليست خالدة، وإن كان عمرها أطول من عمر النار، ولا بقاء إلا لله**»[١]، وهذا القول الذي قاله حفظ التاريخ أول من قاله، فقد «قال بفناء الجنة والنار الجهم بن صفوان إمام المعطلة، وليس له سلف قط، لا من الصحابة ولا من التابعين لهم بإحسان، ولا من أئمة المسلمين»[٢]، وقد سجّل الأشعري انفراد جهم بن صفوان بهذه المقالة[٣].

والأدلة على خلاف قول جهم عديدة تطلب من مظانها في كتب العقائد، على أن هذا القول وإن لم يقل به السلف، من الصحابة والتابعين فإن الجمهوريين لا يعبأون باتفاقهم، فهم الذين قالوا: «**أما اجماع السلف فهو ليس حجة على الدعوة الإسلامية الجديدة**»[٤]، ويقصدون دعوتهم هم، فعقيدة الصحابة التي اتفقوا عليها، وتوفي النبي ﷺ وقد أخبرهم بها، ونزلت النصوص تمدحهم عليها، وتشهد بإيمانهم بها، وأنهم على الحق بسببها، وأن

---

(١) أسئلة وأجوبة؛ الكتاب الثاني، محمود محمد طه، ص٧.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية، علي بن علي بن أبي العز الدمشقي، مؤسسة الرسالة، بيروت-لبنان، الطبعة الثانية: ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م، ج٢، ص٦٢١.

(٣) انظر: مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، أبو حسن الأشعري، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م، ج١، ص٣٣٨.

(٤) الميزان بين محمود محمد طه، والأمانة العامة للشئون الدينية والأوقاف، فصل: «الدعوة الإسلامية الجديدة» دعوة إلى أحياء السنة، على موقع:
https://www.alfikra.org

الله رضي عنهم، عقيدة قوم شاهدوا التنزيل، وأعلم باللغة، وأسبق إلى الخير، إنهم لو اتفقوا على شيء، فإن الدعوة الجديدة لا تعتبره حجة عندها!

ولكنها تعتبر أحبار محمود طه التي سود بها صحائفه الدين الحق، والوارث لعلم التصوف، ومن خالفه لم يفهمه تجتاحه الأغراض البعيدة، فالفكرة الجمهورية عندهم هي الإسلام.

إنه حجاج بالصوت الأعلى لا بالأدلة الأرفع، هم الصواب لأنهم يقولون إنهم على صواب، هذا قانونهم الذي داسوا به كل قاعدة عقلية، وترفعوا به فوق كل قاعدة شرعية، وبعدها زعموا بأنهم على حقيقة، حقيقة اتسعت لإبليس وضاقت بالسلف الأول من الصحابة، أنزلت الله إلى مستوى المخلوقات، ورفعت المخلوق إلى التأله، تجاوزت الشريعة باسمها، وزعمت أن حجج الكتاب والسنة ظواهر داهنت أحكام الأوهام، قالت بعدم خلود الجنة والنار، ولكنها مع ذلك قالت لمحمود طه: «**سَمَوتَ بفكرك الخالد**»[1]!

---

(١) كتابات حول فكر ومواقف الحركة الجمهورية، قصائد تمجد الموقف، مجدد انت وإن كرهت طيور الظلام، سامح الشيخ، على موقع: https://www.alfikra.org

سلطة مطلقة

قد لا يعتني أنصار الأفكار الليبرالية بمواقف محمود طه الدينية، مهما بعدت عن الإسلام، فالمهم عندهم مدى اقترابه من الأفكار الليبرالية، ولعل العديد من الشباب قد ترجموا أقوال محمود طه على أنه ينادي بالحريات السياسية، والفكرية، ومهما أخطأ في الجانب الديني فالمهم هو النتيجة، مناداته بالفردية، فلكل مسلم شريعته الفردية، وله أن يقول ما يشاء باسم التلقي المباشر عن الله دون حاجة إلى نبي، ثم إنه يضع ضابط الضرر كمعيار على عدم التدخل في حريات الآخرين، وهو الضابط الذي قال به جون ستيوارت مل، ولكن محمود طه عبّر عنه بطريقة دينية، قد يظهر ذلك لهم وكأن محمود لم يكن يسعى إلى السلطة المطلقة.

لكنَّ هناك خبرًا غيرَ سارٍّ لمن حسب هذا، فطرح محمود طه وإن كان في شق منه يظهر في بادئ الرأي وكأنه حريص على حرية الإنسان، إلا أنه على التحقيق يؤسس لحكم كهنوتي باسم الدين، يعلوا فيه الخاصة وهو منهم ـ إن لم يكن هو أو من يقوم مقامه بعده على رأس الهرم ـ على الدهماء الذين تابعوهم، ويحدِّث الخاصة أولئك العامة بأنه في الحقيقة لا يوجد إلا الله، في تشريع لسلطتهم عليهم، وأنهم هم الخاصة الذين يأخذون عن الله مباشرة، بل إن منهم الإنسان الكامل الذي هو الله! لا يحتاج الأمر إلى كبير ذكاء لإدراك أن تأليه بعض بني البشر يعني بالضرورة عبودية آخرين، وبما أن التأليه يكون للخاصة فهذا يعني لأقلية، فالعبودية ستكون من نصيب الأكثرية ممن صدقوا تلك الخرافة.

وإذا تابعنا كارل شميت في قوله بأن «مفاهيم النظرية الحديثة للدولة كلها

ذات الدلالة هي مفاهيم لاهوتية معلمنة»[١]، فإن محمود طه كان يحتقر البشر ولذا احتاج حتى يرفعهم عن مرتبتهم في الحضيض إلى تنزيل الإله لمرتبتهم، ورفعهم إلى مرتبة الإله، كأنه يردد مقولة: «**لو لم يصبح الله الإنسان لكانت الزواحف التي تدوسها قدمي أقل حقارة من الإنسان**»[٢]، لذا كان هؤلاء المخالفون لمحمود طه وللجمهوريين يخالفون بنظرهم «الفكرة الجمهورية» التي تعني «الدين» التي تعني «الحق»، لقد كانوا مجرد بشر! لم يتشبهوا بالله، ولم يأخذوا عنه، مثلهم مثل أدنى شيء في الكون، ليس مستغربًا بعدها إن دفعت هذه الفكرة إلى آخر نتائجها، بأن هؤلاء البشر يعيقون طريق «الدعوة الجديدة»، ويجب إماطة الأذى عن الطريق!

ثم إن محمود طه لم يتوانَ عن التصريح بتطور الشريعة، وأن المجتمعات هي التي تفرز شرائعها عن طريق أفرادها، هنا يحدث تماهٍ بين القانون في مجتمع، وبين العدالة، بمعنى، إن الشريعة كونها لا تتبع الأفراد، ستكون حكمًا على شرعية القوانين، والسلوك الذي تفرزه المجتمعات، ولكنها فيما يطرحه محمود طه فإن تلك التشريعات التي تستحدثها المجتمعات ستكون هي الشريعة، فلا يمكن أن يصدر عنها قانون جائر، إذ تم التخلي بهذا عن الفصل بين الواقع وبين المفترض فيه، تمامًا كما تم الخلط بين الذهني والواقعي، ومع نصرته لوحدة الفاعل، ووحدة الوجود تصبح سلطته شرعية متى صارت واقعية!

هذا لا يعني سوى إخضاع الأكثرية لقلة تدعي أنها من الخاصة، يزعمون بأن ما يقولونه رسالة ثانية من الله، تلك القلة هي الحاكمة عمليًا إن تابعت

---

(١) اللاهوت السياسي، كارل شميت، ترجمة: رانية الساحلي، وياسر الصاروط، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى: م، ص٤٩.

(٢) اللاهوت السياسي، كارل شميت، ص٦٧.

الأكثرية روايتها وأعطوها الشرعية بناء على روايتها بأنها تتلقى العلم من الله مباشرة، حكم تام باسم الرب، بل هم صرحوا بأن اسم الله عندهم يطلق على إنسان معيّن يدعى الإنسان الكامل، تخيل ماذا يمكن أن يحدث لمعارض بعد هذا؟ إنه يعارض الله بنظرهم، نحن هنا أمام مكوّنات تامة لسحق أي فرد يخرج عن أفكارهم وأطروحاتهم، إنه يخالف الحق، يخالف الإسلام، يشاقق الله.

أما بخصوص السلم والمحبة التي كان يوزعها الحزب الجمهوري، مهلًا فقد كان أقلية يتحبب إلى الشعب، يتقرب إليهم، النصرانية فعلت الشيء نفسه، أليس فيها أحبوا أعداءكم، وباركوا لاعنيكم، أليس فيها بأن الله محبة، لم يكن الأمر يحتاج إلى تاريخ محاكم التفتيش لتأكيده، فبما أن بابا الكاثوليك هو المتحدث باسم الرب، كان الأمر مرنًا دومًا؛ كما يسهل أن يقول لهم: سالموا، يمكن بعد ليلة أن يعلنها حربًا باسم الرب.

وهنا الاستدلال ليس بمجرد السلوك العملي، حتى لا يقول قائل: ويوجد في الإسلام من قد يخالف الأحكام الشرعية ويبطش باسم الله، يقال: نعم صحيح، ولكن ليس في الإسلام كما هو الفهم الأول له، أي الصحابة إعطاء العصمة لأحد بعد ختم النبوة، ومن قال بها يلزمه ما يلزم الكاثوليك كفرقة حادثة لا تجد لها سندًا من السلف في فهمهم، ولا باقي المسلمين المتمسكين بالفهم الأول، في حين يرى الكاثوليك عصمة البابا في التعاليم الدينية، فما ينسبه إلى الدين يصبح من الدين حقًا، أما عند أهل السنة فكل يستدل له، لا يستدل به، أما محمود طه، فقد زعم أن فهمه من الله مباشرة، فهو الحق الذي لا يأتيه الباطل، وأنه لا يمكن أن يرد عليه أولئك الذين يقرأون، فعلمه ليس من علوم القراءة والصحف، ولا الكلمات والمعاهد، ولا يعنيه أن يظهر لهم دليلًا على كلامه، سوى دعواه بأنه متحدث باسم الله، عنه أخذ وأنه مأذون له بما يقوله.

ثم إن محمود طه لا يلتزم بقانون يمكن إلزامه به، فالشريعة التي يستعملها في خطابه، أو في إنكاره على مخالف، هي من باب الخطاب الشعبي، الذي له قبول بين الجماهير، أو من باب إلزام الناس بما عندهم، يخاطب بها العامة، ولكنه يرى أن الحقيقة فوق الشريعة، تلك المرحلة التي وصل إليها بنظره وهي الأخذ عن الله دون واسطة نبي، إن كلامه في هذا المجال يحوي تعبيرًا عن نصيحة ميكافيلي للأمير وهو يقول له: «من المفيد أن يكون الأمير رحيمًا، وفيًا حلو الصفات، صادقًا متدينًا، **ولكن يجب أن يتهيأ عقلك لكي تتحول إلى أضداد هذه الصفات عند الحاجة**»[1]، وهو الأمر الموجود عند محمود طه بتعبير آخر، لابد أن يتجاوز مرحلة الشريعة إلى الحقيقة! حين تغدو كل الأشياء المحسوسة مباحًا.

تلك المرحلة التي يفعل فيها ما أراد، لكنه في المعاملات يرى الالتزام بالشريعة التي يمليها تطور المجتمع، أي من باب مراعاة المجتمع لا أنها الشريعة المنزلة الواجب اتباعها، بلغة ميكافيللي: «على الأمير أن **يبدو متدينًا أمام من يراه ويسمعه**، وهذه الصفة ضرورية جدًا لأن الناس يحكمون على ما يرونه بأعينهم، وليس على ما يدركونه، فكلنا يستطيع الرؤية، لكنَّ قلة قليلة منا تستطيع أن تدرك واقع الحال الذي أنت عليه»[2]، فمرحلة الشريعة هي مرحلة ما يراه الناس، أما الحقيقة فهي ما هو عليه.

إن طرح محمود طه يسقط المعايير الأخلاقية، وقد عبر الروائي دوستويفسكي يومًا ما عن ضرورة الدين للأخلاق على لسان إحدى شخصياته الروائية بقوله: «لن يبقى هناك شيء يُعد منافيًا للأخلاق، **وسيكون كل شيء**

---

(١) كتاب الأمير، ميكافيللي، ترجمة: أكرم مؤمن، مكتبة ابن سينا للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، ص٩٠، ٩١، باختصار.

(٢) كتاب الأمير، ميكافيللي، ص٩١، باختصار.

مباحًا، حتى أكل لحوم البشر... متى كان هذا الفرد لا يؤمن بالله»[١]، وهذا ينبني على تصوره لعجز العقل عن بناءِ منظومة أخلاقية، أو ما عرف في التراث الإسلامي الكلامي بنفي التحسين والتقبيح العقلي، وضرورة وجود شريعة، تضبط الجانب الأخلاقي.

لقد قال بهذا القول الأشعرية، **ولكنهم التزموا بالشريعة**، فبقي لهم متمسك أخلاقي، وهو قانون لهم وعليهم، يقدر الناس على محاكمتهم إليه، وهم يحاكمون غيرهم إلى معاييره، ولكن لم يتفق معهم أكثر الطوائف الإسلامية على نفي التحسين والتقبيح العقليين[٢]، فقال الأكثر بالتحسين والتقبيح العقلي، على تفاوت بين الفرق في بعض التفاصيل، والتحقيق بأن العقل لا يعارض الشرع، وهو ما حرص على تقريره ابن تيمية في كتابه (درء تعارض العقل والنقل)، كيفما كان فإن السؤال هنا: ماذا يتبقى مع تصور محمود طه الذي يتعامل مع الشريعة كما سبق؟ لن يبقى سوى اعتراض سلافوي جيجيك على هذه العبارة، بقوله: «بقوله: **«إذا كان هناك إله فكل شيء مباح»**[٣]، وهذا ينبني على مثل تصور محمود طه بأن الشريعة لا يمكن التحاكم إليها، لا يوجد لها أي قواعد موضوعية، إنما المسألة ذاتية، يخرج رجل فيقول بأنه صار من العارفين، وقال له اللهُ افعل كذا، ولماذا نبعد الأمر؟ ومحمود طه نفسه يقول ما يماثل كلام جيجيك: **«إذا استمر السير بالسائر إلى نهايته المرجوة، وهي نقاء السريرة، واستقامت السيرة تمامًا، عادت جميع المحسوسات إلى أصلها من الحل»**[٤].

---

(١) الإخوة مارامازوف، دوستويفسكي، ترجمة: سامي الدروبي، المركز الثقافي العربي، بيروت-الدار البيضاء، الطبعة الأولى: ٢٠١٠، ج١، ص١٥٩، ١٦٠.

(٢) انظر: الرد على المنطقيين، أحمد بن تيمية، دار ترجمان السنة-باكستان، ١٩٧٦م، ص٤٢٠.

(٣) Pervert's Guide to Ideology, 1:30.

(٤) محمود محمد طه رئيس الحزب الجمهوري يقدّم الإسلام، ص٣٢.

هذا الأمر ليس له أثره في الأخلاق فحسب، بل حتى في التصور لمفهوم الأفكار السياسية التي يمكن أن يصل إليها طرح محمود طه متى طردت إلى آخر نتائجها المنطقية، كل المحسوسات تعود إلى أصلها من الحل، مثل القتل! والسجن والتنكيل لمن يخالفه؟ ما المانع؟ بل ما الذي يخرجه من عموم عودة كل الأشياء المحسوسة مباحة؟!

ثم لمَ يُفترضُ أن يؤخذ كلام محمود طه الذي يصرّح به للناس على أنه مع السلم الأهلي، على محمل الحقيقة، فإذا كانت عنده ظواهر الشريعة جاءت لمراعاة وهم الناس، ما الذي يضمن أن ظواهر كلامه لم تكن لمجرد مراعاة الظرف، لمداهنة الناس، ولا تعبر عن الحقيقة كما هي في الباطن؟ كيف لا يتعزز هذا الافتراض وهو الذي يقول بأن العلم الحقيقي ليس بالقراءة؟

لقد تعامل محمود طه مع الشرائع كدرجة إلى السلطة، ومن هنا كان يتعامل بما سماه الحقيقة في منطقة فوق الشريعة، بل سعى مرارًا حتى إلى التقرب إلى النصرانية كما سبق، وذلك يوضع في سياقه التاريخي، **أي قبل استقلال الجنوب عن السودان**، فكانت سطوره تنضح بطموحه الذي عبر عنه بلغة تحاول الابتعاد عن التصريح الصارخ به، فحاول إظهار أنه مجرد داعية لفكرة دينية سماها الجمهورية، ولكنّ طرحه كان ينضح بحرصه على السلطة، لا أي سلطة بل المطلقة منها، باسم الله، إنه تجسيد لمخاوف سيوران التي عبر عنها بقوله: «يخيفني كثيرًا رجل السياسة الذي لا تبدو عليه أي علامة من علامات حبّ السلطة»[١].

ومع ذلك فإن عبارة سيوران يعتريها القصور في توصيف حالة محمود طه إن فهمت بالسلطة الزمنية، لقد أراد الاستحواذ على السلطة المطلقة في كل شيء، في الدين عبر حصره الحق الديني في طريقته، بل عبر جعله الإنسان

---

(١) المياه كلها بلون الغرق، إميل سيوران، منشورات الجمل، ألمانيا، ٢٠٠٣م، ص١٦٢.

الكامل هو الله، في الرسالة عبر اعتبارها لم تختم، وفي الشريعة عبر إزرائه بالفقهاء واعتبارهم من المقلّدة العوام، بخلافه هو من الخواص كتب محمود طه: «**من الذي قال: إن الرسالات ختمت بمحمد؟! لقد تورطت أنت فيما يتورط فيه عوام الفقهاء**»[1]، بل لم يتمالك نفسه حتى أعلن عطفه عليهم لجهلهم فقال: «**نعطف على علماء الفقه عندنا، وفي البلاد الإسلامية الأخرى، إذا جهلوا حقائق الدين، وأصوله، ذلك بأنهم ضحايا لمنهج تعليمي خاطئ**»[2]، أزرى بالعقل وهو يرى أنه لن يصل إلى الحقائق التي وصل إليها بذوقه، بالرسالة حين أعلن أن رسالة الإسلام الأولى لا تصلح لزمنه، وهكذا.

ومع ذلك فلم يكن له تلك المؤهلات التي تجعله يواجه بها، فلم يقدّم فلسفة أمام الفلسفات، بقدر ما اتهم الفلسفة بالقصور عما هو فيه، لم ينازع بالعقل ففر إلى زعم طورٍ وراء العقل، لم يقدّم بالكتابة ما ينافس بها الكتابات الأخرى بقدر زعمه أن ما يقرره لا يُنال بالقراءة، وهكذا كان يبني عالمًا مثاليًا موازيًا لأي شيء يواجهه، ويعلن فيه عن انتصاره وقد خلّى عن منازع، لقد أراد الاستحواذ على كل شيء، فلم يحصّل أي شيء.

أما أتباعه فكانوا المثال الأقرب لحالة أن تكون معه كالميت بين يدي المغسّل، حين سجنوا أنفسهم في قفص كلماته، وأعطوا لمحمود طه كل تلك الصلاحيات المطلقة، ولم يكفوا عن التعبير بالإعجاب بعبقريته وتفننه، لم يكونوا متخصصين في العلوم الشرعية، وتفاخروا أن صفوفهم لم تحو فقهاء، فقالوا: «**شعبية دعوتنا من الشباب المثقف و«العوام»، لا من الفقهاء**»[3]، فبمن

---

(١) القرآن ومصطفى محمود والفهم العصري، محمود محمد طه، ص١٧٠.

(٢) السفر الأول من سلسلة بيننا وبين محكمة الردة، محمود محمد طه، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م، ص٢٣.

(٣) الميزان بين محمود محمد طه، والأمانة العامة للشئون الدينية والأوقاف، موقف المثقفين، على موقع: https://www.alfikra.org

سمّوهم بالمثقفين كانوا يتفاخرون، وهي كلمة واسعة لدرجة أنها من ممكن أن تطلق اليوم على مندوب مبيعات، يعرف الكثير عن منتجات شركات تنظيف متعددة، فلا ندري أي ثقافة تلك التي عنوها، أيقصدون أنهم من قرّاء الروايات مثلًا؟ وحتى هذه لا نعرف ما نوع الروايات التي يفضلونها، أهي كلاسيكية أم مجرد روايات تجارية، أم أنهم الذين دخلوا نظامًا تعليميًا هو مثل الذي عابه محمود طه، أو يماثله، أو لربما هو غزل مرة أخرى بأنفسهم من جنس حديثهم عما فعلوه لأول مرة في التاريخ!

قصور، وتناقضات

إذا كانت العديد من الفلسفات التي يجهد أصحابها أذهانهم لإنتاجها يعتريها قصور، وتناقض أحيانًا، فكيف بمن كان ذهنه قاصرًا عن إنتاج جديد؟ بل كان كمغناطيس تجميع لجهود غيره بل وأحيانًا لعين كلماتهم، ومع ذلك لا يقدر على جمعها في بوتقة واحدة، في منظومة فكرية تحتويها، الأمثلة كثيرة لا تسع لها هذه الصفحات، وهذه بعض الأمثلة على هذا، والحديث قياس، ليظهر حال غزلهم بأنفسهم في قولهم بأنهم «ظاهرة فريدة ليس لها ضريب في تاريخ الحركات الفكرية على الإطلاق، هذه الظاهرة هي الاتساق والانسجام التام الذي ينتظم سائر كتاباتنا ومواقفنا»[١]!

مثالية ولا للمثالية:

قال محمود طه: «ليس في فكر الجمهوريين أي مثالية، فإن المثالية فكر عاجز عن العمل»[٢]، فالمثالية مرفوضة إذن عند الجمهوريين، المثالية: هي الفلسفة التي تنطلق من الفكر، الكلي، العقلي، الوعي، فهذا عندهم قبل المادة التي هي المعيّن المحسوس، هذه مرفوضة عنده، مع أنه الذي تحدث عن العقل الكلي القديم، وهو الذي قال: «**آدم قد خلق ثلاث مرات**: مرتين في عالم الملكوت، ومرة في عالم الملك»[٣]، وقال: «الإنسان الكامل في الملكوت»[٤]، فما هو الفرق بينهما عند محمود طه؟ يقول: «أما عالم الملك

---

(١) السفر الأول، محمود محمد طه، ص٤.
(٢) أسس دستور السودان، محمود محمد طه، ص٦٩.
(٣) رسالة الصلاة، محمود محمد طه، ص١٩.
(٤) القرآن ومصطفى محمود والفهم العصري، محمود محمد طه، ص٧٣.

فهو العالم المجسّد، وأما عالم الملكوت فهو عالم العقول»[١].

فهناك عالم العقول، خارج الذهن الفردي عند محمود طه، هذه هي المثالية بالضبط، أن يحسب المرء بأن تجريده العقلي، له وجود خارج الذهن، على أي حال فإن محمود طه يعتبر أن العالم الحالي الذي يعيش فيه الإنسان هو عالم البرزخ، وهو «**عالم المنزلة بين المنزلتين عالم مرحلي**»[٢]، والمنزلة بين المنزلتين اصطلاح اشتهر عن المعتزلة في مسألة الفاسق فهو عندهم لا مؤمن ولا كافر، فهل هذا يعني بأن العالم الحالي الذي يسميه برزخيًا ليس هو معقولًا ولا مجسّدًا؟ لا، قال بأن الصراط المستقيم: «**لم يهمل المادة، ولا أهمل الروح**، إنما وفق بينهما توفيقًا متسقًا، فجعل المادة وسيلة إلى الروح»[٣]، ويقصد بالروح الفكر، فيقول: «**الروح، أو إن شئت التعبير الحديث، قل: بالفكر**»[٤].

هل يعني الثنائية؟ أي يجمع بين المادة والفكر وينطلق منهما في الوقت نفسه، هل هذا ما يقصد؟ لا أيضًا، إنه يقصد: «**أن المادة روح في حالة** من الاهتزاز تتأثر بها حواسنا، وأن **الروح مادة** في حالة من الاهتزاز لا تتأثر بها حواسنا»[٥]، سنسميها تنزلًا بالأطروحة الاهتزازية! حتى لا يطول الأمر على القارئ، إنه يقلب الأمور، لتضحي المادة فكر! والفكر مادة! لا نعرف هل كان يمسك بالفكر بيديه؟ أعني بالقلم! أو كانت تفكر عنه أعني الأوراق! أم إن الرجل يتكلم بأي كلام يخرج منه، على أي حال، إنه أراد بأن المادة

---

(١) رسالة الصلاة، محمود محمد طه، ص٢٩.

(٢) رسالة الصلاة، محمود محمد طه، ص٢٩.

(٣) القرآن ومصطفى محمود والفهم العصري، محمود محمد طه، ص٥٢.

(٤) مشكلة الشرق الأوسط، الفصل الاول ـ صور الأشياء ـ الوحدة ـ الثنائية، محمود محمد طه، على موقع: https://www.alfikra.org

(٥) محمود محمد طه رئيس الحزب الجمهوري يقدّم الإسلام، ص١٠.

روح، والروح مادة، أن يحاول، مجرد محاولة، ليبدو الأمر متسقًا مع حكاية أن الإله عبد، والعبد إله، التي سبق عرضها.

وبعيدًا عن هذا الاستطراف في البحث الفلسفي، هل كان محمود طه بحق يرفض المثالية، البيئة التي يعيش فيها محمود، العالم الخارجي، الواقع الموضوعي، المعطى بحواسنا، هل هذا الواقع مادي، أم ماذا، يقرر محمود طه أن يصرح فيقول: «البيئة التي عاش فيها الأحياء قبلنا، ونعيش فيها نحن اليوم، **ليست في حقيقتها ماديّة، وانما هي روحية ذات مظهر مادّى، بل إنّ المادة كما نعرفها ونألفها، ليست هناك، وانما هي وهم من أوهام الحواس... فالبيئة التي نعيش فيها فكرية، تجسدت فيها الأفكار، فاتخذت مظهرًا نسميه نحن المادة**»[1]، هذه هي المثالية يا محمود طه! أنت تعيش في عالم فكري، ليس هذا العالم في حقيقته ماديًا! أنت ترى بأن وصفه بالمادة مجرد وهم من أوهام الحس.

ألا يوجد (مثقف) من الذين زعموا وجودهم في الحزب الجمهوري اطلع بالخطأ على كتاب في تاريخ الفلسفة، أو تعثر مرة بمعجم فلسفي ليقرأ بأن القس جورج باركلي نفى المادة خارج الأذهان، وقال بأن الوجود هو ما يدرَك! وأنه كان يسمي فلسفته باللا مادية، لا يوقِّع المرء على إفادة اعتراف في قسم شرطة بأنه مثالي حتى يُصنف بأنه مثالي، غاية الأمر أنه لما ينفي المادة خارج الذهن، ويقول: بل ما هو خارج الذهن فكري فإنه يسمى مثاليًا، فكيف يزعم بعدها بأن الجمهوريين ليس في أفكارهم شيء! يعني ولا ١٪ من المثالية، وهو ينفي مادية العالم الخارجي المحسوس الذي يضطر إلى التعامل معه كل يوم، إنه عالم فكري، والظن بأنه مادي من وهم الحس، فلم يكتب؟ ولم كان يتحدث ومع من؟! في الفراغ؟ في العالم الفكري المجرد.

---

(١) مشكلة الشرق الأوسط، الفصل الاول ـ صور الأشياء ـ الوحدة ـ الثنائية، محمود محمد طه، على موقع: https://www.alfikra.org

الظاهر وهم، ويجب الأخذ به:

قال محمود طه: «الإيمان واجب بظاهر القرآن، وعلى ما تعطيه ألفاظه، وشك الشاك في وجود النار الحسية، والعذاب الحسي كما جاء في ظاهر ألفاظ القرآن قد يطعن في إيمانه»(١)، فهنا يتحدث عن وجوب الأخذ بظاهر القرآن، وعلى ما تعطيه ألفاظ القرآن ومن شك فقد يطعن هذا بإيمانه، قائل هذا الكلام ينسى أنه بنفسه قال: «جاءنا [القرآن] بظاهر يجاري الوهم الذي أعطتنا إياه الحواس عن عالم الظاهر، وبباطن يرتكز على الحق الصراح»(٢)، فالظاهر يجاري الوهم، الذي أعطته الحواس، ألم يقل بأن المادة نفسها غير موجودة، فهنا يناقض موقفه، ليقول: بل يجب الأخذ بالظاهر، والإيمان بالنار الحسية! التي يفترض أن تكون وهمًا على قوله، وأنها فكرية في حقيقتها! أليست المادة كما نعرفها غير موجودة، وحقيقتها فكرية!

ويرد محمود طه على من قال بأن «ما جاء في النار والجحيم ما هو إلا ألوان من ضرب المثال وألوان من التقريب وألوان من الرمز»، بقوله عن هذا بأنه «قول باطل، شديد البطلان»(٣)، ومع ذلك فلخصومه كل مرة، وله كل حلوة، وكأنه يقول في نفسه:

«ويسمح من سواكَ الفعلُ عندي فتفعله ويحسنُ منكَ ذاكَ»(٤)

فيفسر قوله تعالى: ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢﴾ [التين] على قاعدة وحدة الوجود، فيقول: «في المعرفة الحقيقية أن الله لا يقسم إلا بنفسه، وهذه

---

(١) القرآن ومصطفى محمود والفهم العصري، محمود محمد طه، ص١٣٦.

(٢) الرسالة الثانية من الإسلام، محمود محمد طه، ص٧٥.

(٣) القرآن ومصطفى محمود والفهم العصري، محمود محمد طه، ص١٣٣.

(٤) ديوانُ أبي نواس برواية الصّولي، تحقيق: بهجت عبد الغفور الحديثي، دار الكتب الوطنية، أبو ظبي - الإمارات العربية المتحدة، الطبعة الأولى: ٢٠١٠م، ص٥٥٣.

الأعيان في السورة إن هي إلا رموز إليه، تعالى، تترقى، في سلّم، من القاعدة إلى القمة، وهو سلّم على شكل هرمي إن صح هذا التعبير، وهي، قبل أن تصل في سلم الترقي إلى مستوى الرمز إليه، تعالى، إنما ترمز إلى الإنسان، لأنه، في هذا السلم، بينهما أعني بين الأعيان، وبين الله، تبارك وتعالى»[١].

فالجنة والنار لا يقبل فيهما أن تكون الآيات رموزًا، أما أن التين والزيتين فما يقسم الله إلا بنفسه، فهو التين والزيتيون وما هذا إلا رمز إليه، وما هو رمز لله، هو رمز للإنسان، فمقبول لديه، ومنصور بعين الحقيقة!

بهموت، وواضح!

وقد تحدث محمود طه عن البشرية أنها اليوم لا تحتاج إلى دين غامض، مليء بالطلاسم، فقال: «الإنسانية اليوم تعاني القلق والاضطراب... ولن تحتاج في غدها الدين على نحو ما احتاجته في ماضيها **يقوم على الغموض ويفرض الإذعان، وإنما تحتاجه يقوم على الوضوح**»[٢]، الوضوح أمر مهم حتى تفهم البشرية ما يريده منها الدين، ولذلك كان محمود طه يحدثها عن «**تنزل من بهموت الذات إلى مراتب العباد**»[٣]، ولم يكن له أن يتوقف!

يأتي إلى حديث موضوع: «كنت كنزًا مخفيًا، فأردت أن أعرف، فخلقت الخلق، فتعرفت إليهم، فبي عرفوني»، ليبدأ الشرح الواضح للحديث الموضوع، «**في لغة الأرقام مجموع حروف اسم (محمد) كمجموع حروف (فبي) كلاهما اثنان وتسعون، كما هو معروف، ومقام الذات المحمدية هو مقام الإنسان الكامل، ويجب أن يكون معروفًا، فإن أسماء الله الحسنى هي في حق الإنسان الكامل في المكان الأول**، وهي لا تكون في حق الذات الصرفة،

---

(١) الكتاب الأول من سلسلة رسائل ومقالات، محمود محمد طه، شجرة الزيتون ـ تعقيب على الأستاذ الجليل عباس محمود العقاد، على موقع: https://www.alfikra.org

(٢) أسس دستور السودان، محمود محمد طه، ص٤٠.

(٣) رسالة الصلاة، محمود محمد طه، ص٨٦.

المطلقة إلا عند التناهي عندما تعجز العبارة وتكاد تنقطع الإشارة»[١]، أين الغموض؟ حديث موضوع يتحول إلى لغة الأرقام، التي تصبح **٩٢** في اسم محمد، وفي قوله فبي، والأسماء الحسنى التي أطلقها الله على نفسه، لم يرد بها نفسه، حيث إن ذاته منزهة عن العبارة، إنما أراد أن يسمي بها الإنسان الكامل، الذي هو محمد، الذي هو في الوقت نفسه بزعمه الله، لكن الله في الوقت نفسه يطلق كذلك على الذات الصرفة، ومع كل ذلك فكل الوجود ما هو إلا الله! أين الغموض؟

أليس هذا الذي تحتاجه البشرية من وضوح؟ يزيد وضوحًا: «المرحلة الإشارة بالحروف قاعدة، ولها قمة فإما قاعدتها فهي الحروف الرقمية، وأما قمتها فهي الحروف الفكرية، وتقع بين هذه القمة وتلك القاعدة الحروف الصوتية، فكأن الحروف على ثلاث مراتب: رقمية، وهي تتكون من الثمانية والعشرين حرفًا، التي تشمل الأبجدية أولها الألف، وآخرها الغين، وهذه الحروف الثمانية والعشرين بعدد منازل القمر، منها أربعة وعشر حرفًا نورانية، وهي: أ ـ ل ـ ر ـ ك ـ ه ـ ي ـ ع ـ ص ـ ط ـ س ـ ح ـ م ـ ق ـ ن»[٢].

يقول محمود طه قائل هذا الكلام نفسه! «يبدو أنك أخذت على الصوفية أعمال بعض أدعياء التصوّف، **من الهمهمة بألفاظ غير معروفة، وقد كثرت في أخريات التصوف**، وهي لا تحسب على التصوّف... **إنها فترة انحطاط يحكم بها على حقيقة التصوّف**»[٣]، نعم، قائل هذا الكلام هو الذي قال ما سبق.

كانت محاولات إظهار العمق بالترميز والإشارة سمة بارزة في الحلّاج حتى ولو كان الأمر ميسورًا بكلمة، ومن ذلك قوله:

---

(١) القرآن ومصطفى محمود والفهم العصري، محمود محمد طه، ص٣٩.

(٢) القرآن ومصطفى محمود والفهم العصري، محمود محمد طه، ص٤٨.

(٣) القرآن ومصطفى محمود والفهم العصري، محمود محمد طه، ص١٥٢.

ثـلاثـة أحـرفٍ لا عُـجـم فـيـهـا ومـعـجـومـان وانـقـطـع الـكـلامُ[١]

فهنا يقول عن شيء مكون من ثلاثة أحرف ليس فيها نقط في الرسم، وعن حرفين فيهما نقط، فماذا يقصد؟ لقد «**أشار بذلك إلى التوحيد**»[٢]، فكلمة (توحيد) فيها ثلاثة أحرف بلا نقط في الرسم، وحرفان بنقط، مع أنه كان قادرًا على قولها بسهولة، وهو بين المسلمين، ليست الكلمة سرًا، ولا هو بالذي يخشى العقوبة على ذكرها، لكنه حاول أن يوهم سامعيه بالعمق، ومع أن التوحيد هو أوضح ما جاء به الإسلام، لكنه يتحول في هذه الحالة إلى أمر غامض، سري، يرمز إليه، ولا يجري التعبير عنه، إنه أمر يوحي بالعمق، ومع أن معنى التوحيد عنده، وعند أمثاله مخالف لما هو معهود من الإسلام، وما عليه المسلمون.

وبعد كل ما سبق من أطروحات محمود طه في الدين كان له وجه عند الناس أن يقول بكامل الثقة: «**لا كهنوت في الإسلام**، ما في ذلك أدنى ريب، وإنما كان الكهنوت مرذولًا لأنه ادعاء وصاية على الناس، **والقيام بينهم وبين ربهم إلى الحدود التي تدّعي التحدث بلسان الله**»[٣].

التناقض حتى النهاية:

قد يحاول الجمهوريون التخريج لتناقضات أستاذهم والترقيع لها بأنه كان يتحدث بلسانين، لسان للعامة وآخر للخاصة، كما في الأطروحات اللاهوتية الكنسية، بأن المسيح كان يتحدث أحيانًا باسم الناسوت، وأخرى باسم اللاهوت، ولكنهم يتغافلون عن التناقض الذي صحبه حتى النهاية، فإن كان

---

(١) أخبار الحلاج؛ من أندر الأصول المخطوطة في سيرة الحلاج، علي بن أنجب الساعي البغدادي، ص٨٠.

(٢) الفرق بين الفرق، عبد القاهر البغدادي، ص٣٢.

(٣) القرآن ومصطفى محمود والفهم العصري، محمود محمد طه، ص٢٠٢، باختصار يسير.

العامة لم يصلوا إلى مرتبته، إذ كانت معرفته التي ادعاها عن الله كفاحًا وهؤلاء الناس محجوبون عن تلك المعرفة، وما لهم سوى الشريعة حكمًا، فلا يعرفون (الحقيقة) التي زعم محمود أنه وصل إليها.

إن كانت حال الفقهاء قد دفعت محمود طه لأن يرثي لجهلهم، لتوقفهم مع الظواهر التي تساير الوهم بنظره، ولم يعرفوا طريق الأخذ عن الله مباشرة دون واسطة نبي، فكانوا يأخذون الدين بواسطة نبي، وإن كانت عقولهم لم تصل إلى ما فوق العقل، فلم العتب عليهم؟ ولم تطالبهم بشيء فوق مقدرتهم؟ ولم تطلب منهم خلاف ما هو في رتبتهم؟ أليس قد زعم بأن الشريعة مرتبة دون الحقيقة؟ فما له ولهؤلاء الناس الذين قال بأنهم لم يصلوا إلى الحقيقة؟

أليس ما قاله وتفوَّه به معلوم حكمه في الشريعة التي بين أيديهم؟ لمَ يطالبهم بمنزلته التي يعتقد أنها أرفع من هذه المنزلة؟ أليس في صرح الجمهوريين أن الناس درجات، عامة وخاصة، فهبْ جدلًا أنهم خاصة الخاصة، فما بالهم ينكرون على العوام ما ليس في علمهم، وليس في مقدورهم تحصيله؟

لقد احتفى الجمهوريون بعد زعيمهم بجمع المقالات التي كتبت عنه، ومن بينها مقال وصفه بأنه «**الحلاج الجديد في الخرطوم**»[1]، لعل كاتبه شاهد وجوه التشابه بين الاثنين، لكنه لم يلحظ الفرق، إذ كان الحلّاج متسقًا مع نفسه، فقد صرّح معترفًا بأن ما قاله كفر عند المسلمين، وإن زعم أن معارفه أعلى من معارفهم وأن كلامه ليس كفرًا لمن بلغ رتبته، إلا أنه لما ادعى بأنهم أقل منه في العلم، فما الواجب عليهم حينها؟ أن ينفذوا فيه ما بلغهم من الشريعة بواسطة نبي، لقد حاول أن يدفع عن نفسه، قائلًا: «**الله الله في دمي**،

(١) ماذا قال العالم عن الأستاذ محمود؟ ردود الفعل الخارجية ـ الدول الغربية، على موقع:
https://www.alfikra.org

فأنا على الإسلام»[١]، لكنه سبق أن قال مقالاته التي لا مفر منها، فتماسك قائلًا: «اعلموا أن الله أباح لكم قتلي فاقتلوني»[٢]، «فمن ثَم أفتى الشبلي بقتل الحلاج، والحريري بضربه وإطالة سجنه، وقال هو في نفسه: ما على المسلمين أهم من قتله نصحًا للدين من دعاوى الزندقة»[٣].

لقد حقق الحلّاج ما قاله: «أستاذاي إبليس وفرعون، وإبليس هدد بالنار وما رجع عن دعواه، وفرعون أغرق في اليم، وما رجع عن دعواه ولم يقر الواسطة البتة»[٤]، لكنه كان متفهمًا موقف الفقهاء منه، بخلاف محمود طه والجمهوريون من بعده، حيث ظلوا يرددون اعتراضاتهم: لم يفهموه، ولن تفهموه معشرَ المعارضين له! ولذا ظلموه، وأنتم أيضًا تظلمونه.

(١) سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج١٤، ص٣٥١.

(٢) أخبار الحلاج؛ من أندر الأصول المخطوطة في سيرة الحلاج، علي بن أنجب الساعي البغدادي، ص٨٤.

(٣) قواعد التصوّف، أحمد بن زرّوق الفاسي، تحقيق: عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية: ٢٠٠٥م/١٤٢٩هـ، ص٦٤.

(٤) الطواسين، ضمن: الحلاج؛ الأعمال الكاملة، ص١٩٢، ١٩٣.

الخاتمة

يبقى الاختلاف في الافتراضات بين من يكتب لقوم يظن فيهم عدم الفهم المسبق، أو التسليم التام بكلامه، حاضرًا حتى آخر هذه السطور، بين من حرص على تغييب العقول، وبين من يدعو إلى إعمالها، والتفكر والأخذ والرد، بميزان القسط، والعدل، والحق.

بين كلمات حذف كاتبها مصادره فيها وقال بأنها ملقاة إليه بطريقة خارقة، وآخر يُطلع قراءه على مصادره ويعلل نتائجه باستدلالاته وذكر بيناته، بين هذين يقف القارئ بعقله، ليوازن ويبحث ويسعى الى الحق، ذلك الذي لا يبطله زخرف من القول، ولا يحقّره قلة تابع، ولا يهوّش وضوحه كثرة مخالف.

القارئ الذي يعلم أن عليه ألا يجعل من الدمعة برهانًا، ولا من المأساة صدقًا، ذلك الذي لا يتنازل عن كونه إنسانًا بواسطة تلغي عقله عبر اجتياح عواطفه، أيًا كانت تلك الواسطة، من معظّم عنده، أو تقليدٍ نشأ عليه، أو هوى يختلج في صدره، إلى هذا القارئ ينتهي هذا الكتاب.

المراجع

١. **إحياء علوم الدين**؛ محمد الغزالي (أبو حامد)، وبذيله المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار، عبد الرحيم بن الحسين العراقي، دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابي الحلبي.

٢. **أخبار الحلاج**؛ من أندر الأصول المخطوطة في سيرة الحلاج، علي بن أنجب الساعي البغدادي، تحقيق: موفق فوزي الجبر، دار الطليعة الجديدة، دمشق - سورية، الطبعة الثانية: ١٩٩٧م.

٣. **الإخوان الجمهوريون في جريدة الأخبار المصرية**؛ الكتاب الأول، الطبعة الأولى: ١٩٧٦م.

٤. **الإخوان الجمهوريون في جريدة الأيام السودانية**؛ الطبعة الأولى: ١٩٧٦م.

٥. **الإخوة كارامازوف**؛ دوستويفسكي، ترجمة: سامي الدروبي، المركز الثقافي العربي، بيروت - الدار البيضاء، الطبعة الأولى: ٢٠١٠م.

٦. **الاستغاثة في الرد على البكري**؛ أحمد بن تيمية، تحقيق: عبد الله بن دجين السهلي، مكتبة دار المنهاج، الرياض، الطبعة الأولى: ١٤٢٦هـ.

٧. **الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة**؛ عليّ القاري، حققه: محمد بن لطفي الصباغ، المكتب الإسلامي، بيروت - دمشق، الطبعة الثانية: ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

٨. **أسس دستور السودان**؛ محمود محمد طه، أم درمان، الطبعة الثانية، رمضان: ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م.

٩. **الإسلام برسالته الأولى لا يصلح لإنسانية القرن العشرين**؛ محمود محمد طه، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٩م.

١٠. **الإسلام والفنون**؛ محمود محمد طه، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.

١١. **الإسلام وإنسانية القرن العشرين**؛ محمود محمد طه، الطبعة الأولى: ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م.

١٢. **أسئلة وأجوبة**؛ محمود محمد طه، أم درمان، السودان، ١٩٧٠م.

١٣. **أسئلة وأجوبة**؛ الكتاب الثاني، محمود محمد طه، ١٣٩١هـ/١٩٧١م.

١٤. **أصول الفقه**، محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي.

١٥. **الأضحوية في المعاد**، ابن سينا، تحقيق: حسن عاصي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية: ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

١٦. **أفلاطون المحاورات كاملة**، نقلها إلى العربية: شوقي داود تمراز، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٤م.

١٧. **آلام الحلّاج**، لويس ماسنيون، ترجمة: الحسين حلاج، شركة قدمس للنشر، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى: ٢٠٠٤م.

١٨. **ألحان ومعاني الإنشاد العرفاني يمهدان للبعث الديني**، الإخوان الجمهوريون، الطبعة الأولى: ١٩٧٦م/١٣٩٦هـ.

١٩. **أمالي ابن سمعون**؛ محمد بن أحمد بن إسماعيل بن عنبس البغدادي، دراسة وتحقيق: عامر حسن صبري، دار البشائر الإسلامية، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى: ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

٢٠. **أناشيد في طريق الرجعى**، الإخوان الجمهوريون، الطبعة الأولى: ١٩٧٦م/١٩٣٦هـ.

٢١. **إنساني مفرط في إنسانيته**؛ فريريش نيتشه، ترجمة: علي مصباح، منشورات الجمل، بيروت ـ بغداد، الطبعة الأولى: ٢٠١٤م.

٢٢. **انظر: بحثًا عن عالم أفضل**؛ كارل بوبر، ترجمة: أحمد مستجير، مهرجان القراءة للجميع ٩٩.

٢٣. **أنقذوا الشباب من هذا التنظيم الدخيل**؛ الإخوان الجمهوريون، ١٩٨٠م/١٤٠٠هـ.

٢٤. **الأورجانون الجديد**؛ إرشادات صادقة في تفسير الطبيعة، فرانسيس بيكون، ترجمة: عادل مصطفى، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى: ٢٠١٣م.

٢٥. **أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك**؛ عبد الله بن يوسف بن هشام الأنصاري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان.

٢٦. **أيام من حياتي**؛ زينب الغزالي، نسخة إلكترونية.

٢٧. **إيمان فرعون لجلال الدين الدواني، والرد عليه لعلي بن سلطان بن محمد القاري؛** حققه: ابن الخطيب، المطبعة المصرية ومكتبتها، الطبعة الأولى: ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٤م.

٢٨. **بدع التفاسير؛** عبد الله بن محمد الصديق الغماري، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، الطبعة الثانية: ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

٢٩. **بهموت الغيوب؛** محمد مهدي بهاء الدين الرفاعي، اعتنى به: ناصر الدين عبد اللطيف الخطيب، كتاب ـ ناشرون، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى: ٢٠١٣م.

٣٠. **بوارق الحقائق،** محمد مهدي بهاء الدين الصيادي الرفاعي/ الروّاس، طبعها: إبراهيم الرفاعي، الطبعة الأولى: ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

٣١. **بؤس التلفيق؛** نقد الأسس التي قام عليها طرح محمد شحرور، يوسف سمرين، مركز دلائل، الرياض، الطبعة الثانية: ١٤٣٩هـ.

٣٢. **بيان الفرق بين الصدر والقلب والفؤاد واللب،** الحكيم الترمذي، تحقيق: أحمد عبد الرحيم السايح، مركز الكتاب للنشر، القاهرة.

٣٣. **بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية؛** أحمد بن تيمية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤٢٦هـ.

٣٤. **بيننا وبين الشؤون الدينية وأساتذتها من أزهريين ومن سعوديين؛** الإخوان الجمهوريون، الطبعة الأولى: ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م.

٣٥. **تاريخ الغيبة الصغرى؛** محمد الصدر، دار التعارف للمطبوعات، بيروت ـ لبنان، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

٣٦. **تاسوعات أفلوطين؛** نقله إلى العربية عن أصله اليوناني: فريد جبر، مراجعة: جيرار جهامي، سميح دغيم، مكتبة لبنان ناشرون، الطبعة الأولى: ١٩٩٧م.

٣٧. **التَعرّف لمذهب أهل التصوّف؛** محمد بن إسحق البخاري الكلاباذي، مكتبة الخانجي ـ القاهرة، الطبعة الثانية: ١٩٩٤م.

٣٨. **تعظيم قدر الصلاة؛** محمد بن نصر المَرْوَزي، مكتبة الدار، المدينة المنورة، الطبعة الأولى: ١٤٠٦هـ.

٣٩. **تفسير الطبري «جامع البيان عن تأويل آي القرآن»؛** محمد بن جرير الطبري، تحقيق: عبد الله التركي، هجر للطباعة والنشر، الجيزة، الطبعة الأولى: ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

٤٠. **تلبيس إبليس**؛ عبد الرحمن بن الجوزي، دار القلم، بيروت ـ لبنان.

٤١. **تهذيب الأجوبة**؛ الحسن بن حامد، حققه وعلق عليه: صبحي السامرائي، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

٤٢. **الثورة الثقافية تعلموا كيف تصلون**؛ محمود محمد طه.

٤٣. **الثورة الثقافية**؛ محمود طه، ١٩٧٢م/١٣٩٢هـ.

٤٤. **جامع البدائع**؛ مجموعة رسائل لابن سينا، وعمر الخيام، وصدقة بن علي، والموقي، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى: ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

٤٥. **جامع الرسائل**؛ أحمد بن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، دار المدني للنشر والتوزيع، جدة، الطبعة الثانية: ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

٤٦. **الجامع لأحكام القرآن**؛ محمد بن أحمد القرطبي، مؤسسة الرسالة، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى: ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

٤٧. **جمهورية أفلاطون**؛ دراسة وترجمة: فؤاد زكريا، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ٢٠٠٤م.

٤٨. **الحكم الرفاعية**؛ أحمد الرفاعي، نسخة إلكترونية.

٤٩. **الحلاج ـ الأعمال الكاملة**؛ قاسم محمد عباس، رياض الريس للكتب والنشر، الطبعة الأولى: ٢٠٠٢م.

٥٠. **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**؛ أبو نعيم الأصفهاني، دار الفكر، بيروت ـ لبنان، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

٥١. **حول الحرية**؛ جون ستيوارت مل، هيئة قصور الثقافة، ٢٠١٢م.

٥٢. **دراسات ونصوص في الفلسفة والعلوم عند العرب**؛ عبد الرحمن بدوي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى: ١٩٨١م.

٥٣. **دراسات ونصوص في الفلسفة والعلوم عند العرب**؛ عبد الرحمن بدوي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى: ١٩٨١م.

٥٤. **درر الغوّاص من فتاوى عليّ الخواص**؛ عبد الوهاب الشعراني، المكتبة الأزهرية للتراث.

٥٥. **الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة؛** عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: محمد بن لطفي الصباغ، عمادة شؤون المكتبات ـ جامعة الملك سعود، الرياض.

٥٦. **الدعوة الإسلامية الجديدة؛** محمود محمد طه، الطبعة الأولى: ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م.

٥٧. **دفاتر عن الديالكتيك؛** لينين، ترجمة: إلياس مرقص، دار الحقيقة، بيروت ـ لبنان، ١٩٨٨م.

٥٨. **ديالكتيك الطبيعة؛** فريدريك إنكلس، نقله إلى العربية: توفيق سلوم، دار الفارابي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى: ١٩٨٨م.

٥٩. **الدين والتنمية الاجتماعية؛** محمود محمد طه، الطبعة الأولى: ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م.

٦٠. **ديوانُ أبي نواس برواية الصّولي؛** تحقيق: بهجت عبد الغفور الحديثي، دار الكتب الوطنية، أبو ظبي ـ الإمارات العربية المتحدة، الطبعة الأولى: ٢٠١٠م.

٦١. **ذخائر الأعلاق شرح ترجمان الأشواق؛** محيي الدين بن عربي، المطبعة الأنسية، بيروت، ١٣١٢هـ.

٦٢. **رأس المال؛ المجلد الأول: عملية إنتاج رأس المال؛** كارل ماركس، ترجمة: فالح عبد الجبار، دار الفارابي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى: ٢٠١٣م.

٦٣. **الرد على المنطقيين؛** أحمد بن تيمية، دار ترجمان السنة ـ باكستان، ١٩٧٦م.

٦٤. **الرسالة الثانية من الإسلام؛** محمود محمد طه، الطبعة الثالثة، ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م.

٦٥. **رسالة الصلاة؛** محمود محمد طه، الطبعة الخامسة، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م، أم درمان ـ السودان.

٦٦. **رسالة في العقل والروح؛** أحمد بن تيمية، دار الهجرة، بيروت ـ لبنان، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

٦٧. **السفر الأول من سلسلة بيننا وبين محكمة الردة؛** محمود محمد طه، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.

٦٨. **السفر الأول؛** محمود محمد طه، الطبعة الثالثة: يونيو ١٩٧٦م.

٦٩. **سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة؛** محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى: ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

٧٠. **سيد قطب وثورة يوليو**؛ حلمي النمنم، ميريت للنشر والمعلومات، القاهرة، ١٩٩٩م.

٧١. **سير أعلام النبلاء**؛ محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، مؤسسة الرسالة، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى: ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

٧٢. **شرح العقيدة الطحاوية**؛ علي بن علي بن أبي العز الدمشقي، مؤسسة الرسالة، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية: ١٤١١هـ/١٩٩٠م.

٧٣. **شريعة حمورابي وأصل التشريع في الشرق القديم**؛ مجموعة مؤلفين، ترجمة: أسامة سراس، دار علاء الدين، دمشق، الطبعة الثانية: ١٩٩٣م.

٧٤. **صحيح البخاري**؛ محمد بن إسماعيل البخاري، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، الطبعة الأولى: ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

٧٥. **صحيح مسلم**؛ مسلم بن الحجاج القشيري، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى: ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

٧٦. **صيد الخاطر**؛ عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، دار القلم، دمشق، الطبعة الثالثة: ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م.

٧٧. **ضد دوهرنج**؛ إنجلس، ترجمة: محمد الجندي وخيري الضامن، دار التقدم، موسكو ـ الاتحاد السوفيتي، ١٩٨٤م.

٧٨. **طبقات الشافعية الكبرى**؛ عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي، تحقيق: محمود الطناحي، عبد الفتاح الحلو، مطبعة عيسى البابي، ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٤م.

٧٩. **فاضحة الملحدين وناصحة الموحدين**؛ علاء الدين محمد البخاري الحنفي، دراسة وتحقيق: محمد بن إبراهيم العوضي، رسالة ماجستير، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، ١٤١٤هـ.

٨٠. **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**؛ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، المكتبة السلفية، الطبعة الأولى.

٨١. **فتوح الغيب**؛ عبد القادر الجيلاني، مكتبة وطبعة البابي الحلبي، مصر، الطبعة الثانية: ١٣٩٤هـ/١٩٧٣م.

٨٢. **الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم**؛ عبد القاهر البغدادي، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي، دار الآفاق الجديدة، بيروت ـ لبنان، الطبعة الخامسة: ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

٨٣. **فصوص الحكم**؛ محمد بن علي بن عربي، علق عليه أبو العلا عفيفي، دار الكتاب العربي، بيروت ـ لبنان.
٨٤. **الفكرة الجمهورية هي الإسلام**؛ الإخوان الجمهوريون، الطبعة الأولى: ١٩٨٢م.
٨٥. **في الباطن والظاهر المسمى جلاء الخاطر**؛ عبد القادر الجيلاني، تحقيق: خالد الزرعي، عبد الناصر سري، دار ابن القيم، دمشق، الطبعة الأولى: ١٩٩٤م.
٨٦. **في تطور النظرة الواحدية إلى التاريخ**؛ بليخانوف، دار التقدم ـ موسكو، الترجمة إلى العربية ١٩٨١م، طبع في الاتحاد السوفييتي.
٨٧. **في ظلال القرآن**؛ سيد قطب، دار الشروق، بيروت ـ القاهرة، الطبعة الشرعية الثانية والثلاثون، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م.
٨٨. **قاعدة في أن كل دليل عقلي يحتج به المبتدع ففيه دليل على بطلان قوله**؛ أحمد ابن تيمية، تحقيق: عبد الله بن علي السليمان آل غيهب، دار أطلس الخضراء للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤٤١هـ/ ٢٠١٩م.
٨٩. **القرآن ومصطفى محمود والفهم العصري**؛ محمود محمد طه، أم الدرمان، السودان، ١٩٧١م.
٩٠. **قواعد التصوّف**؛ أحمد بن زرّوق الفاسي، تحقيق: عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية: ٢٠٠٥م/١٤٢٩هـ.
٩١. **القواعد الكشفية الموضحة لمعاني الصفات الإلهية**؛ عبد الوهاب الشعراني، تحقيق: مهدي أسعد عرار، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى: ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.
٩٢. **كتاب أصول الدين، عبد القادر الجيلاني**؛ بحث وتحقيق: محمد فاضل جيلاني الحسني، مركز الجيلاني للبحوث العِلمية، إسطنبول، الطبعة الثانية: ٢٠١٣م.
٩٣. **كتاب الأمير**؛ ميكافيللي، ترجمة: أكرم مؤمن، مكتبة ابن سينا للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة.
٩٤. **كتاب الزينة في الكلمات الإسلامية العربية**؛ أحمد بن حمدان الرازي (أبو حاتم)، عارضه بأصوله وعلق عليه: حسين بن فيض الله الهمداني، مركز الدراسات والبحوث اليمني ـ صنعاء، الطبعة الأولى: ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.
٩٥. **الكتاب المقدس**؛ نداء الرجاء ـ شتوتغارت ـ ألمانيا، ١٩٩١م.

٩٦. **لا إله إلا الله**؛ محمود محمد طه، ٢٤ مايو ١٩٦٩م.

٩٧. **اللاهوت السياسي**؛ كارل شميت، ترجمة: رانية الساحلي، وياسر الصاروط، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى: ٢٠١٨م.

٩٨. **لطائف المنن والأخلاق في وجوب التحدث بنعمة الله على الإطلاق**؛ عبد الوهاب الشعراني، اعتنى به: أحمد عزو عناية، دار التقوى، دمشق، الطبعة الأولى: ٢٠٠٤هـ.

٩٩. **الماركسية في الميزان**؛ محمود محمد طه، الطبعة الأولى: ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م.

١٠٠. **مثالب الولادة**؛ إميل سيوران، ترجمة: آدم فتحي، منشورات الجمل، بغداد ـ بيروت، الطبعة الأولى ٢٠١٥م.

١٠١. **مجموع فتاوى أحمد بن تيمية**؛ جمع وترتيب: عبد الرحمن بن قاسم، وساعده ابنه محمد، طبع بأمر: فهد بن عبد العزيز آل سعود، طبع في المدينة في مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، تحت إشراف: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

١٠٢. **محاورات برتراند راسل**؛ ترجمة: محمد عبد الله الشفقي، من مختارات البرنامج الثقافي لإذاعة الجمهورية العربية المتحدة.

١٠٣. **محمود محمد طه رئيس الحزب الجمهوري يقدّم الإسلام**؛ الطبعة الثانية: ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.

١٠٤. **محمود محمد طه يدعو إلى طريق محمد**؛ الطبعة الثالثة: ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م.

١٠٥. **المختارات في ١٠ مجلدات**؛ لينين، دار التقدم، موسكو، ١٩٧٦م.

١٠٦. **مختارات ماركس ـ إنجلس**؛ دار التقدم، موسكو.

١٠٧. **مرشد الحائر لبيان وضع حديث جابر**؛ عبد الله بن محمد بن الصديق الغماري.

١٠٨. **المصنوع في معرفة الحديث الموضوع**؛ عليّ القاري، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدّة، مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب، الطبعة الخامسة، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

١٠٩. **معالم في الطريق**؛ سيد قطب، دار الشروق، بيروت ـ القاهرة، الطبعة الشرعية السادسة، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

١١٠. **المُغير على الأحاديث الموضوعة في الجامع الصغير**؛ أحمد بن عبد الله بن الصّديق الغماري، دار الرائد العربي، بيروت ـ لبنان، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

١١١. **مفارقة الإخوان المسلمين للشريعة والدين**؛ الإخوان الجمهوريون، أم درمان، الطبعة الأولى: ١٩٧٩م/١٣٩٩هـ.

١١٢. **مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة**؛ محمد ابن قيم الجوزية، تحقيق: عبد الرحمن بن حسن بن قائد، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، الطبعة الأولى: ١٤٣٢هـ.

١١٣. **المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة**؛ محمد بن عبد الرحمن السخاوي، صححه وعلّق حواشيه: عبد الله محمد الصديق، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى: ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

١١٤. **مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين**؛ أبو حسن الأشعري، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا ـ بيروت، ١٤١١هـ / ١٩٩٠م.

١١٥. **مقدمة ابن الصلاح ومحاسن الاصطلاح**؛ توثيق وتحقيق: عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ)، مطبعة دار الكتاب ١٩٧٤م.

١١٦. **موقف ابن تيمية من المعرفة القبليّة وشيءٌ من آثاره الفلسفية**؛ يوسف سمرين، جامعة القدس، فلسطين، ١٤٣٩هـ/٢٠١٧م.

١١٧. **نشأة الإنسان**؛ تشارلس داروين، ترجمة وتقديم: مجدي محمود المليجي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٥م.

١١٨. **نقد العقل المحض**؛ عمانوئيل كانط، ترجمة موسى وهبة، مركز الإنماء القومي، رأس بيروت ـ لبنان.

مواقع إلكترونية:

١. https://www.alfikra.org

برامج:

١. Pervert's Guide to Ideology.

الموضوع	الصفحة